جامعة الأزهــر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات - القاهرة

المنتقى من هدى المصطفى

[دراسة موضوعية]

دكتورة
كوثر محمود المسلمى
أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم
وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ..
صدق الله العظيم
سورة الحشر "من الآية ٧"



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسـنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [٢].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد–صلـى الله عليـه وسلم– وشر الأمور مُحدثاتها ، وكل مُحْدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،وكل ضلالـة فى النار. وأبرك العلوم وأفضلها وأكثرها نفعاً فى الدين والدنيا بعد كتـاب الله عـز وجل، أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

لذا حضّ سلفنا الصالح على حفظ الأحاديث وتعلمها ودراستها كمـا نحفـظ القرآن ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ .. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُـوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [٣].

---

[١] سورة آل عمران : الآية ١٠٢.

[٢] سورة النساء : الآية١.

[٣] سورة الحشر: الآية٧.

وقد ساعد سلفنا الصالح ممثل فى علمائنا الأبرار على ذلك ، فدونـــوا لنـــا الأحاديث النبوية الشريفة فى مصَنَّفات : ما بين موسوعات ومتوسطات وأجـــزاء ، ومنهم من قام بالشرح والتهذيب والتنقيح .

وقد انتقيت باقة من هذه الأحاديث المصطفوية الشريفة دار مضمونها حـــول باقة من محاسن الأخلاق وحميد السجايا غطت الموضوعات الآتية :

١- الرحمـــــــة	٢- صلة الرحـــم
٣- بـــر الوالدين	٤- الصبـــــــــر
٥- الاستئـــذان	٦- الكلمـــــــة
٧- الجنائـــــز	٨- الغيبة والنميمة
٩- إعالة اليتيم	١٠- المساجـــــد

وتناولت هذه المواضيع بالدراسة والتوضيح ، ولما كـــــان الاتفـــاق حـــول المدلول اللفظى للكلمة محل الدراسة يعتبر المدخـــل الســـليم لمناقشـــة الموضـــوع ودراسته وتحليله لذا جعلت أول عنصر فى كل موضوع حـــول المعنـــى اللغـــوى للفظة.. وذلك بالرجوع إلى أشهر المعاجم اللغوية .. لسان العرب المحيط للعلامـــة ابن منظور[٤].

وبعد البدء اللغوى فى مناقشة كل موضوع تكون المعالجة مع إعطاء كـــل فقرة عنواناً ملائماً يخدم الفكرة ، مطبوع بخط مميز وموحد على مستوى الكتاب.

---

[٤] لسان العرب المحيط ثلاثة أجزاء وهو للعلامة ابن منظور تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خياط . الناشر : دار لسان العرب - بيروت.

ومع ورود أكثر من حديث نبوى شريف فى كل موضـــوع إلا أن التركـــيز يكون حول حديث واحد له عنوان نميزه عن غيره من أحاديث الموضوع.

أما بخصوص رواة الأحاديث فقد آثرت أن أورد ترجمة لكل راوٍ[٥] لم تسبق الإشارة إليه وذلك فى ذيل كل موضوع .

وقد وضعت لهذا الكتاب عنوانا استخرت الله فـــى الأخـــذ بـــه ..وأســـميته **المنتقى من هدى المصطفى – دراسة موضوعية.**

أما بالنسبة للحواشى والهوامش فقد أخذ كل موضـــوع أرقامـــا متتاليـــة .. وبالنسبة للمراجع فهى موضحة فى موضعها من كل موضوع .

وأرجو أن أكون بهذا التقديم – قد وافقت الصواب، مســـتعينة بتوفيـــق الله وعونه .

والله الموفق ،،،

دكتورة. كوثر محمود المسلمى

---

[٥] **اعتمدت فى هذه التراجم على المراجع الآتية :**

١- سير أعلام النبلاء للشيخ الذهبى (الجزء الأول والثانى والثالث).
٢- الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى .
٣- أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى.
٤- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
٥- حلية الأولياء للراغب الأصفهانى.
٦- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.
٧- ميزان الاعتدال للشيخ الذهبى.
٨- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى .
٩- الأعلام للزركلى.



الرحمة

الرحمـــة

اللغويات :

رحم : الرحمة : الرقة والتعطف ، والمرحمة مثله ، وقد رحمته وترحمت عليه ، وتراحم القوم : رحم بعضهم بعضا. والرحمة المغفرة ،وقوله تعالى في وصف القرآن :﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١]. أي فصلناه هادياً وذا رحمة، وقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ [٢]. أي هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم ، وقال الله عز وجل ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [٣]. أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف والتعطف عليه . وقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤]. ، فإنما ذكر على النسب وكأنه اكتفى بذكر الرحمة عن الهاء . وقال الأزهري : التاء في قوله إن رحمت أصلها هاء وإن كتبت تاء . الأزهري : قال عكرمة في قوله: ﴿ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ [٥]. أي رزق، ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ﴾ [٦]. أي رزقا ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً ﴾ [٧]. أي عطفا وصنعا ، ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ [٨]. أي حبا وخصبا بعد مجاعة ، وأراد بالناس الكافرين.

---

[١] سورة الاعراف: الآية ٥٢.
[٢] سورة التوبة : الآية٦١.
[٣] سورة البلد : الآية١٧.
[٤] سورة الأعراف: الآية٥٦.
[٥] سورة الإسراء: الآية٢٨.
[٦] سورة هود: الآية٩.
[٧] سورة الأنبياء: الآية١٠٧.
[٨] سورة يونس: الآية٢١.

وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [٩]. معناه يختص بنبوتـــه من شاء ممن أخبر عز وجل أنه مصطفى مختار.

والله الرحمن الرحيم : بُنيت الصفة الأولى على فعلان لأن معناه الكـــثرة ، وذلك لأن رحمته وسعت كل شئ وهو أرحم الراحمين ، فأما الرحيم فإنما ذكر بعــد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل ، والرحيم قد يكون لغيره.

قال الفارسى : إنما قيل بسم الله الرحمن الرحيم فجىءبالرحيم بعد اســتغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به فى قوله تعالى﴿ وَكَـــانَ بِـــالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [١٠].

وقال ابن عباس : الرحمن الرقيق ، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق.

وقال الحسن : الرحمن اسم ممتنع لا يسمى غير الله به ، وقد يقـــال رجــل رحيم.

الجوهرى : الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة ونظيرها فى اللغـــة نديم وندمان ، إلا أن الرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى به غـيره ولا يوصف ، ألا ترى أنه قال ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [١١]. فعادل به الاسم الذى لاَ يَشْرَكُهُ فيه غيره ، وهما من أبنية المبالغة ، ورحمن أبلـــغ مـــن رحيـــم ، والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال رجل رحيم ولا يقال رحمن.

---

[٩] سورة البقرة: الآية١٠٥.

[١٠] سورة الأحزاب: الآية٤٣.

[١١] سورة الإسراء: الآية١١٠.

والرحمة فى بنى آدم عند العرب : رِقّة القلب وعطفه . ورحمة الله : عطفه وإحسانه ورزقه[١٢].

منزلة الرحمة :

الرحمة آصرة من أواصر الترابط الإنسانى ، لذلك دعـــا الإســـلام إليـــها ، وحثّ عليها ، فهى فى كل قلب نقى ، وقد خلق الله القلوب معادن ، **فمنها**: ما هـــى كالحجارة أو أشد قسوة ، وصاحبها شقى . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: " لا تُنزع الرحمة إلا من شقى " [١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام : " **من لا يَرحم لا يُرحم** " [١٤].

---

[١٢] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خياط – دار لســـان العــرب– بــيروت . المجلــد الأول (ا ر) ص١١٤٣، ١١٤٤ بتصرف.

[١٣] الراوى أبو هريرة : انظر أسماء الرواة فى آخر موضوع الرحمة ، وهكذا بالنســـبة لبقيـــة الموضوعات، وهذه رواية الترمذى رقم ١٩٢٤ فى البر، باب ما جاء فى رحمة الناس وأبـــو داود رقم ٤٩٤٢ فى الأدب ، باب فى الرحمة ،وهو حديث حسن [جامع الأصول فى أحـــاديث الرسول لابن الأثير الجزرى ٥٤٤– ٦٠٦هـــ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط نشـــر وتوزيـــع : مكتبة الحلوانى ، مطبعة الملاح ، مكتبة دار البيان الجزء الرابع]

[١٤] الراوى : جرير بن عبد الله البجلى : البخارى فى ٣٥٩/١٠ ، ٣٦٠ فى الأدب ، بـــاب رحمة الولد وتقبيله ، ومسلم رقم ٢٣١٨ فى الفضائل ، باب رحمته –صلى الله عليه وســـلم– بالصبيان والعيال ، والترمذى رقم ١٩١٢ فى البر، باب فى رحمة الولد ، وأبـــو داود رقـــم ٥٢١٨ فى الأدب ، باب فى قبلة الرجل ولده.

والحديث فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق ويدخل فيها التعاهد بالإطعام والسقى والتخفيف فى الحمل وترك التعدى بالضرب.

وهناك **قلوب** عامرة بالرحمة مملوءة بالعطف تدفع صاحبـــها إلـــى البـــذل والعطاء ، لا تبغى من ذلك جزاءً ولا شكورا ، إلا رضاء الله عز وجل .

قال تعالى : **﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِـــيرًا . إِنَّمَـــا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ﴾** [١٥].

والرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق ، وإن لا يحب شيئا مثلمـــا يحب الرحمة والتواضع ، ولا يكره شيئًا كرهه القسوة والكبريـــاء. وقـــد ورد فـــى الحديث: " ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء " [١٦].

وذكر (مَنْ) التى للعاقل لا يعنى اقتصار الأمر على رحمة الجنس البشـــرى فقط حيث أننا مأمورون بالرحمة لكل ذى روح . ولكن (من) لتغليب الأشرف علـــى غيره،أى الأشرف من بين المخلوقات التى تعيش على الأرض (الجنس الانســـانى). فلم يفعلوا فعل الوحوش الضارية بإخوانهم وبنى نوعهم.

- و بنمو الرحمة والانسانية فى النفوس تقضى على التهام الأمم القوية للأمـــم الضعيفة ، ولم تجعلهم يفعلون ما تفعله الوحوش الضارية بأضعفها حيـــث أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما بلغت وحشـــيته وشـــراهته . فمـــا بـــالك بالانسان!.

---

[١٥] سورة الإنسان : الآية٨،٩.

[١٦] الراوى عبد الله بن عمر بن العاص -رضى الله عنهما- فى الترمذى رقم ١٩٢٥ فـــى الـــبر والصلة ، باب فى رحمة الناس ، وأبو داوود رقم ٤٩٤١ فى الأدب ، باب فى الرحمة وهـــو حديث صحيح بشواهده .

- كما أن نمو الرحمة فى الأغنياء لا تؤدى إلى مَقْتِ الفقراء وعامة الشعب.
- ولو نمت الرحمة فى القضاة (مثلا) لما تأخر الحكم فـــى القضايـــا بالســـنين الطوال ولا لحق أربابها النكال الشديد والوبال العظيم.
- وبانتشار الرحمة بيننا يدعو لنا الجيران والأقارب ويثنون علينـــا ، وتـــؤدى إلى بذل النصح إلى من يحتاج إليه.
- وحول هذا المعنى يقول ابن حجر المالكى[١٧].

ارحم عباد الله يرحمك الذى ∴ عمَ الخلائق جوده ونوالـــــه
فالراحمون لهم نصيب وافر ∴ من رحمة الرحمن جل جلاله

- ويقول الحافظ ابن عساكر:

بادر إلى الخير ياذا اللب مغتنما ∴ ولا تكن عن قليل الخير محتشما
واشكر لمولاك ما أولاك من نِعَم ∴ فالشكر يستوجب الاقبال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم ∴ فإنما يرحم الرحمن من رحمـــا

روايات حديثية حول الموضوع:

الرحمة بالحيوان :

قال أبو هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وســـلم- قال: " بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب مـــن العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خُفّه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلـــــب،

---

[١٧] من كتاب عالمية الإسلام للأستاذ محمد زيدان طـــ: دار الفكر.

فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فـــى كل ذات كبد رطبه أجر[١٨].

وفى رواية: " أن امرأة بَغِيّا رأت كلبا فى يوم حار يُطيف ببئر ، قـــد أدلـــع لسانه من العطش فنزعت له مُوقَها ، فغفر لها ".

وفى أخرى : " بينما كلب يُطيف بِرَكِيّة ، قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بَغِيّةٌ من بغايا بنى إسرائيل ، فنزعت موقها ، فاستقت له به ، فسقته إياه ، فغُفر لها ، هذه رواية البخارى ومسلم.

وفى رواية للبخارى : أن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش ، فـــأخذ الرجل خُفَّه، فجعل يغرف له به ، حتى أرواه ، فشكر الله له ، فأدخلـــه الجنـــة [١٩]. وأخرج الموطأ وأبو داود الرواية الأولى.

---

[١٨] البخارى . الفتح – ٧٨ كتاب الأدب – ٢٧ باب رحمة الناس والبهائم– ح ٦٠٠٩ والحديـــث يعنى الإحسان إلى كل حيوان حى بسقيه ونحوه أجر ، وسمى الحى ذا كبد رطبه ، لأن الميت يجف جسمه وكبده . مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى . تحقيق محمـــد نـــاصر الديـــن الألبانى ص١٥٦ – دولة الكويت – وزارة الأوقاف والشؤون الاســـلامية – إحيـــاء الـــتراث الإسلامى–٣.

[١٩] رواه البخارى ٥/٣١ فى المزارعة ، باب فضل سقى الماء ، وفى الوضوء ، باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان ، وفى المظالم ، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذَّ بها ، وفى الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم رقم ٢٢٤٤ فى السلام ، باب فضل ساقى البهائم المحترمـــة وإطعامها ، والموطأ ٢/٩٢٩ و٩٣٠ فى صفة النبى – صلى الله عليه وسلم – ، باب جامع فى الطعام والشراب ، وأبو داود رقم ٢٥٥٠ فى الجهاد ، باب ما يؤمر به من القيام على الـــدواب والبهائم.

شرح الغريب:

(يلهث) الكلب وغيره : إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحر، ولهج.
(الثرى) التراب الندىّ ، والمراد به هنا مطلق التراب .
(كبد رطبة) أراد بالكبد الرطبة: كل ذات روح ، لأن الكبد لا تكون رطبـــة إلا وصاحبها حى.
(بغيا) البغِىّ : المرأة الزانية والجمع بغايا.
(أدلع) لسانه : إذا أخرجه من العطش ، وكذلك دَلَعَهُ.
(موقها) الموق ها هنا : الخف .
(بِرَكِيّة) الركية :البئر ، وجمعها : الركىُّ ، ويجمع أيضا على الركايا[٢٠].

رحمة الله تغلب غضبه:

فى حديث أبى هريرة– رضى الله عنه – فى ذكر رحمة الله تعالى قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " لما قضى الله الخلق – وعند مسلم : لما خلـق الله الخلق – كتب فى كتابه ، فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتى تغلب غضبـــى ، وعند البخارى " غلبت غضبى " ولمسلم أيضا : أن النبى – صلى الله عليه وسـلم– قال: " قال الله عز وجل : سبقت رحمتى غضبى " .

وأخرجه الترمذى قال : " إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفســه : إن رحمتى تغلب غضبى" [٢١].

---

[٢٠] جامع الأصول فى أحاديث الرسول تأليف الإمام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمـــد ابن الأثير الجزرى جـ٤ ص٥٢٥.

[٢١] رواه البخارى ٣٢٥/١٣ فى التوحيد ، باب قول الله : [وَيُحَذِّرُكُـمُ اللهُ نَفْسَـهُ] سـورة آل عمران الآية ٢٨ ، وبـاب [وَكَـانَ عَرْشُـهُ عَلَـى الْمَـاءِ] سـورة هـود الآيـة ٧=

أثر الرحمة فى المجتمع :

الحنان الذى فى قلوب الآباء والأمهات فى أفراد النوع الإنسانى يسوقهم سَوْقًا اضطراريا إلى تعهد الولد ومراعاته فى كل ما يجب له ،ولا تلك الشفقة التى تجدها فى نفسك إذا رأيت مظلوما ضعيفا أو فقيرا بائسا إلا أثرا من آثار تلك الرحمة الإلهية .

ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الضعفاء والفقراء من أفضل الأعمال التى حثّ الدين عليها وندبت الشريعة إليها. وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية التى قامت بها السماوات والأرض ، وجرت بها البحار وفجرت الأنهار وأنبت بها النبات وبقية الآيات وأنواع النعم المتواترات .

قال الله تعالى : [فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ] [٢٢].

ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى درجة الكمال إذا كان من ذوى القلوب القاسية والنفوس الجامحة ، فلو اتصف بالرحمة لكان كاملا فى إنسانيته .

= [وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] " سورة التوبة الآية ١٢٩" ، وباب قول الله تعالى: [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ]" سورة الصافات الآية ١٧١" ، وباب قول الله تعالى :[بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ]" سورة البروج آية ٢٢،٢١. ، وفى بدء الخلق ، باب ما جاء فى قول الله:[وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده]" سورة الروم آية ٢٧". ومسلم رقم ٢٧٥١ فى التوبة ، باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، والترمذى رقم ٣٥٣٧ فى الدعوات ، باب رقم ١٠٩.

[٢٢] سورة الروم : آية ٥٠.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال: " ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء"[٢٣].

ويمكن قراءة هذا الحديث برفع الفعل المضارع (يرحمُكم) على أنها جملة دعائية وبالجزم (يرحمْكم) على أنه جواب للأمر (ارحموا)

وقال – صلى الله عليه وسلم – : " **إنما يرحم الله من عباده الرحماء**". أخرجه.. [٢٤].

الله منبع الرحمة :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول : " **جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا،**

---

[٢٣] انظر هامش رقم ١٦.

[٢٤] كذا فى الأصل بياض بعد قوله : أخرجه ، وقد رواه البخارى ٣/١٢٤ ، ١٢٥ فى الجنائز ، باب قول النبى – صلى الله عليه وسلم – : " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه وفى المرض ، باب عيادة الصبيان ، وفى القدر ، باب [**وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**] "سورة الأحزاب آية ٣٨" ، وفى الأيمان والنذور ، باب قول الله : [**أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**]"سورة المائدة آية ٥٣" ، وفى التوحيد ، باب قول الله تبارك وتعالى:[**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**] " سورة الإسراء – آية ١١٠" ، وباب ما جاء فى قول الله تعالى :[**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**] " سورة الأعراف /آية٥٦" ، ومسلم رقم ٩٢٣ فى الجنائز، باب البكاء على الميت ، وكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

وأنزل الله فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه[٢٥].

(جعل الله الرحمة) : خلقها وقدّرها .

(مائة جزء) : تجزئة الرحمة إلى مائة يفيد السعة والشمولية وعظمة هذا المخلوق لله تعالى .

(وأمسك): ادّخر وأجّل.

(عنده): ليوم القيامة (ظرف).

(تسعة وتسعين) : لماذا ؟ هذا العدد لأن الله سبحانه وتعالى (وتر) يحب كل وتر بمعنى (واحد أحد) . وأسماؤه الحسنى تسعة وتسعون اسما.

(فمن هذا الجزء): (مِن) هنا للتبعيض والتعظيم لرحمة الله وطلاقة رحمته تعالى وكمال صفاته -عز وجل-. فإذا كان جزءا واحدا من رحمة الله تفيض منه الرحمة بين الخلائق فما بالنا بالتسعة والتسعين جزءا الأخرى: تبارك الله .

---

[٢٥] رواه البخارى ٣٦٢/١٠ فى الأدب ، باب جعل الله الرحمة فى مائة جزء ، ح ٦٠٠٠ وفى الرقاب ، باب الرجاء مع الخوف ح ٦٤٦٩، ومسلم رقم ٢٧٥٢ فى التوبة ٢١٠٨/٤ ، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، والترمذى رقم ٣٥٣٥ و ٣٥٣٦ فى الدعوات،٣٥٤١ باب رقم ١٠٧، ١٠٨ وابن ماجه فى كتاب الزهد باب ٣٥ ما يرجى من رحمة الله تعالى يوم القيامة ، حديث رقم ٤٢٩٣، ١٤٢٥/٢ ،وأحمد فى المسند ٣٣٤/٢ - ٤٨٤-٥٢٦.

(أنزل فى الأرض) : أى لعلمه تعالى بالحاجة الماسة للمخلوقات إنسانا كان أو غيره على الأرض لهذه الرحمة ، وهى نعمة المولى وميزان الخلق والحياة .

(يتراحم الخلق) : يرحم بعضهم بعضا أو يتراحم بنو كل جنس منهم .

(حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها) : الفرس أنثى الخيل ، ترفع حافرها كى لا تصيبه بأذى أو تقتله . والحافر للخيل وغيرها كالأظفار للانسان ، وهذه عاطفة غريزية.

فالمراد بالرحمة أثرها[٢٦] ، وهو متعلق الإرادة لا إرادة المتعلق لأنها صفة ذاتية قديمة لا تتجزأ ولا تتناهى ويراد من هذا العدد التكثير والمبالغة لا الحصر.

والمقصود من قوله : أمسك عنده تسعة وتسعين جزءا أن الله تعالى ادّخر لخلقه أكثر وأعظم مما أعطاهم فى الدنيا . ولماذا يدخر الله تعالى هذا الجزاء الكبير والعظيم ؟ لأن الآخرة أشد خطراً . فكان قسطها من الرحمة أوفر . وأما الحكمة فى أنه خص الفرس بالذكر فى قوله : " حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه " من دون الحيوان المألوف لعدوها وسرعة سيرها وشدة بطشها ومع ذلك تتجنب أن يصل ضررها إلى وليدها وإلا فسائر الحيوانات كذلك.

والحديث الشريف يبين أن الله تعالى خلق الخلق وتجلت حكمته أن يجعله غير متصف بالكمال بل يعتريه نقص ليحتفظ جل شأنه بالكمال المطلق فى أسمائه وصفاته .

---

[٢٦] هداية البارى إلى ترتيب صحيح البخارى – السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوى . ط دار الريان للتراث – الجزء الأول – ص ٣٢٦.

ومثال ذلك أنه تعالى خلق الرحمة كإحدى نِعَمِه علـــى المخلوقــات وخلــق الرحمة تامة كاملة واسعة فياضة أنعم على ساكنى الأرض بجزء من المائة جـــزء لتدبير شئون الخلائق فى معايشها وأرزاقها ، وهذا الجزء من الرحمة به تجرى مياه الأنهار ويبرئ الله المرضى ويتكافل الناس ويشفق بعضهم على بعض ويرحمـــون اليتامى ويتصدقون على المساكين ويصِلُون الأرحام ويُحسِنون الجوار .. ويـــبرون الآباء ويشفق الآباء على الأبناء.

والله تعالى عندما قدّر أن يُنْزِل جزءا واحدا من الرحمة إلى الأرض كـــان ذلك دليلاً على سعة رحمته ومدعاة لعدم اليأس والقنوط مما يفتح المجـــال للتوبـة والإقلاع عن المعاصى.

أمسك الله تسعة وتسعين جزءا من الرحمة عنده كى يرحم عباده يوم القيامـة مما يدل على أهوال هذا اليوم وشدته وأنه لن يدخل مؤمن الجنة إلا برحمته سـبحانه وتعالى.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة للتراحم بيـن الخلائـق وبيـن النـاس والدواب والحيوانات ، والمسلم لا تقتصر رحمته على بنى جنسه بل يجب أن تتعدى ذلك إلى الحيوان والنبات وسائر الموجودات على الأرض لأن من أنعم بالرحمة هـو رب العالمين ، الرحمن الرحيم .

خلق الله الرحمة .. وغرسها فى التكوين الوجدانى الغريزى عنـــد الكـائن الحى إنسانا كان أو طائراً أو حيوانا .. وهذا يدل على كمال القدرة وطلاقتها عند الله تعالى .

ما يرشد إليه الحديث:

١-رحمة الله واسعة ، ادخر الجزء الأكبر منها ليرحم العباد يوم القيامة.

٢- الله رحمن عفُوّ غفور ، فعلى العاصى والكافر المبادرة بالتوبة لتنالـه رحمة الله .

٣-يوم القيامة يوم شديد الهول يجب الاستعداد له بصالح الأعمال .

٤- المؤمن رحيم القلب شفوق عطوف على الناس والحيوان والنبات وكل ما فيه مظهر من مظاهر الحياة .

٥- الله تعالى مُتَّصِفٌ بكل صفات الكمال ، وله المثل الأعلى .

تراجم الرواة

<u>جرير بن عبد الله بن جابر:</u>

ابن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حـرب بـن على، البجلى الصحابى المشهور . يكنى: (أبا عمر) ، وقيـل : (أبـا عبـد الله). اختلف فى وقت إسلامه ، ورجح ابن حجر العسقلانى أن وقت إسلامه كان قبل سنة عشر من الهجرة لما رواه عن النبى -صلى الله عليه وسلم – أنه قـال: إن أخـاكم النجاشى قد مات .... الحديث [٢٧]. وكان جميلاً وسيم الطلعة حين قال عنه عمر بن الخطاب: "هو يوسف هذه الأمة " وسكن الكوفة ، وأرسله على بن أبى طالب رسولا إلى معاوية ثم أعتزل الفريقين وسكن " قرقيسيا " حتى وفاه الأجل سنة ٥١هـ. وقيل سنة ٥٤للهجرة.

---

[٢٧] أخرجه الطبرانى .

<u>عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني (أبو هريرة):</u>

أحد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه واسم أبيه على ثلاثين قولاً ، واختار الإمام النووي(عبد الرحمن بن صخر) وقال: إنه أصحها. وكان اسمه في الجاهلية "عبد شمس، أبو الأسود " فسماه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبد الرحمن وكنّاه أبا هر أو هريرة. أسلم سنة ٧ للهجرة ، وحمل عن النبي – صلى الله عليه وسلم– (وعن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهم) – علماً كثيرا طيبا مباركا فيه ولم يلحق في كثرته . وقال فيه الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

حدث عنه : خلق كثير من الصحابة والتابعين ، وقد بلغ عدد أصحابه ٨٠٠ واقتصر صاحب التهذيب على ذكر من له رواية عنه في كتب الأئمة الستة[٢٨].

وبلغ مسنده ٥٣٢٦ حديثا . اتفق البخاري ومسلم منها على ٣٢٦ حديثا وانفرد الامام البخاري بـ ٩٣حديثاً ، والإمام مسلم بـ٩٨ حديثا. ولقد أثار بعض الناس منذ القديم وإلى اليوم حول رواياته (وكثرتها) الشكوك واتهموه بما هو برىء منه ، ولقد دافع عن نفسه في حياته حتى قال : " إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يُحَدِّثون مثله! وإن اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم على أموالهم ، وكنت امرءا مسكينا من مساكين الصُّفَّة ألزم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – على ملء بطني ، فأحضر حين يغيبون ، وأعي حين ينسون ، وقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حديثه يوماً: إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ، ثم يجمع إليه ثوبه إلا وَعَى ما أقول

---

[٢٨] انظره : ١٢/٢٦٢ – ٢٦٧.

فبسطت نَمِرَةً على ، حتى إذا قضى مقالته جمعتها إلى صدرى. فما نسيت من مقالـة رسول الله -صلى الله عليه وسلم - تلك من شيء[٢٩]. وقال أيضا:" ما ذنبى إن كنت حفظت ونسوا". ولقد دعا لنفسه فقال: " اللهم إنى اسألك علما لا ينسى فقـال النبـى -صلى الله عليه وسلم - آمين[٣٠]. وكان ابن عمر يقول : كان أبا هريـرة ألزمنـا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعلمنا بحديثه[٣١].

عبد الله بن عمرو بن العاص:

ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيـص بـن كعب بن لؤى بن غالب . الإمام الحبر ،العابد ، صاحب رسول الله -صلى الله عليـه وسلم- وابن صاحبه، (أبو محمد) وقيل : (أبو عبد الرحمن) . وأمه : رائِطَة بنـت الحجاج بن منبه السّهمية . وقد أُسلم قبل أبيه ، ويقال : كان اسمه العـاص فغـيره النبى -صلى الله عليه وسلم - إلى (عبد الله) عندما أسلم . وكتب الكثير من الحديث النبوى [بإذن خاص] فى بداية الأمر عن النبى - صلى الله عليه وسلم- إذ منع أول الأمر كتابة شيء غير القرآن ثم أبيحت الكتابة بعد ذلك .

روى عن النبى -صلى الله عليه وسلم - كثيراً وعن عمر، وأبى الدرداء ، ومعاذ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعن والده عمرو ، وسراقة بن مالك.

---

[٢٩] أخرجه البخارى ٢٤٧/٤ فى كتاب البيوع باب ما جاء فى قول الله تعـالى :[فَـإِذَا قُضِيَـتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ] (سورة الجمعة: الآية ١٠).، وأخرجه مسلم فى فضـائل الصحابـة ٢٤٩٢ وابن سعد فى طبقاته ٢٣٠/٤..

[٣٠] الإصابة لابن حجر ٧٤/١٢.

[٣١] انظر معناه فى سنن الترمذى ٢٨٣٦..

وروى عنه من الصحابة : عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو امامه الباهلى والمُسَوّر بن مخرمة ، والسائب بن يزيد ، وأبو الطفيل .

ومن التابعين : حدث عنه العدد الكثير ، منهم : سعيد بن المسيب ، وعــروة وطاوس.

ويبلغ مسنده: ٧٠٠ حديث واتفق الشيخان له على سبعة أحـــاديث وانفــرد البخارى بـــ ٨ أحاديث ، ومسلم بـــ ٢٠ حديثا.

وتوفى : سنة ٦٨هـــ وقيل ٦٩هـــ وهو ابن ٧٢عاماً.


صلة الرَّحِم

صلة الرّحم

اللغويات :

الأزهرى : يقول أبر بالوالدين من القتيل الذى قتله الخَضِر ، وكان الأبـوان مسلمين والابن كافرا فولد لهما بعدُ بنت فولدت نبيا ، وأنشد الليث :

أحنى وأرحم من أم بواحدها ∴ رُحْمًا وأشجع من ذى لبدة ضارى

وقال أبو إسحق فى قوله : ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [1] ، أى أقرب عطفا وأمس بالقرابة .

والرُّحْمُ والرُّحُمُ فى اللغة العطف والرحمة ، وأنشد :

فـلا ، ومنزل الفرقـا ∴ ن ما لـك عندهـا ظلـم

وكيف بِظُلْمِ جاريـة ∴ ومنها الليـنُ والرُّحْـم

وأم رُحْمٍ وأم الرُّحْمِ : مكـة .

وفى حديث مكة : هى أم رُحْمٍ أى أصل الرحمـة

والرَّحِـم : رحم الأنثى ، وهى مؤنثة ، قال ابن برى : شاهد تأنيث الرّحـم قولهم رحم معقومة . وقال ابن سيده : الرحِم والرحْم بيت منبت الولد ووعاؤه فـى البطن ، قال عبيد :

أعاقِرٌ كذات رِحْـم ∴ أم غانِـمٌ كمـن يخيـبُ

قال : كان ينبغى أن يُعادل بقوله ذات رِحْمٍ نقيضتها فيقول أغيرُ ذات رِحْـم كذات رِحْمٍ . والجمع أرحام .

---

[1] سورة الكهف : الآية ٨١.

ابن الأعرابى : الرَّحَمُ خروج الرحم من علة، والجمع رُحُمٌ، وقد رحِمت رَحَمًا ورُحمت رَحْمًا ، وكل ذاتِ رَحِمٍ تُرحم .

والرحم أسباب القرابة ، وأصلها الرَّحِمُ التى هى منبتُ الولد ، وهى الرَّحْمْ.

الجوهرى : الرَّحِمُ القرابة ، والرحم ، بالكسر ، مثله.

قال الأعشى :

إما لِطالبِ نعمة يَمّمتَهـــا ∴ ووِصـــالَ رِحْـــمٍ قد بَرَدْتَ بِلالَها

قال ابن برى : ومثله لِقيل بن عمرو بن الهُجيم :

وذى نَسَب ناءٍ بعيد وصلتُه ∴ وذى رَحِـــمٍ بَلّلتُها بِبِلالهــــا

قال : وبهذا البيت سمى بُلَيْلا .

والجمع منها أرحام . وفى الحديث : من مَلَك ذا رحِمٍ مَحْرَمٍ فهو حـــر.

قال ابن الأثير : ذووا الرحم هم الأقارب ، ويقع على كل من يجمـــع بينـــك وبينه نسب ، ويطلق فى الفرائض على الأقارب من جهة النســـاء .

يقال : ذو رَحِم مَحْرَم ومُحَرَّم وهو من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخـت والعمة والخالة ، والذى ذهب إليه أكثر العلماء من الصحابة والتابعين وأبو حنيفـــة وأصحابه وأحمد أن مَنْ ملك ذا رَحِمٍ مَحْرَمٍ عتق عليه ، ذكرا كان أو أنثى .

وذهب الشافعى وغيره من الأئمة والصحابة والتابعين إلى أنه يعتـــق عليــه الأولاد والآباء والأمهات ولا يعتق عليه غيرهم .

وفى الحديث : ثلاث ينقص بهن العبد فى الدنيا ويُدرك بهن فى الآخرة ما هو أعظم من ذلك : الرّحِم والحياء وعِيُّ اللسان ، الرّحم بالضم الرحمة ، يقال: رَحِمَ رُحما ويراد بالنقصان ما ينال المرء بقسوة القلب ووقاحة الوجه وبسطة اللسان التى هى من أضداد تلك الخصال من الزيادة فى الدنيا .

وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة : إنّ الرحم شِجْنَةٌ معلقة بالعرش تقول:اللهم صِلْ من وصلنى واقطع من قطعنى [٢].

الأزهرى : الرحم القرابة تجمع بنى أب . وبينهما رحم أى قرابة قريبة.

وقوله عز وجل :﴿ وَٱتَّقُوا اللهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُون بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [٣] ، من نصب أراد واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، ومن خفض أراد تساءلون به وبالأرحام[٤].

المسلم يصل رحم من قطع رحمه :

حدثنا عبد الله بن عمرو عن النبى -صلى الله عليه وسلم – أنه قال : "ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا انقطعت رحمه وصلها "[٥].
حديث حسن صحيح .

---

[٢] البخارى -٧٨ كتاب الأدب -١٣ باب من وصل وصله الله – حديث ٥٩٨٨.

[٣] سورة النساء : الآية١.

[٤] لسان العرب المحيط للعلاّمة ابن منظور تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خياط – دار لسان العرب بيروت – المجلد الأول ص١١٤٤.

[٥] رواه البخارى١٠/٣٥٥ فى ٧٨ الأدب – ١٥ باب ليس الواصل بالمكافئ، مسلم ٦/٢٠ صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ٤٥-البر ، أبو داود – الزكاة – باب فى صلة الرحم رقم ١٦٩٧، والترمذى رقم ١٩٠٩ فى البرّ والصلة ، باب ما جاء فى صلة الرحم .

أضواء حول الحديث :

ليس الواصل : أى الواصل رحمه .

بالمكافِئ : بكسر الفاء، أى المجازى لأقاربة ، أى الذى يصل من يصله ويقطع من يقطع الصلة به . والمراد نفى الكمال.

وفي الحديث الحث على مكارم الأخلاق كقول الله تعالى :﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ [٦].

ومنه قوله –صلى الله عليه وسلم – " صِل من قطعك وأحسن إلى من أساءك" رواه البخارى .

وقال الطيبى : التعريف للواصل للجنس أى ليس حقيقة الواصل ومن يعتدّ بوصله مَن يكافئ صاحبه بمثل فعله ونظيره قولك هو ليس بالرجل بل الرجل من يصدر منه المكارم والفضائل.

ويؤكد الحديث الحرص على صلة الرحم مهما كان الحال كأن يجد الواصل أقاربه يُعْرِضون عنه ويتناسونه ويقطعون الصلة لرحمه . فالمطالب به أن لا يعاملهم بالمثل بل يتخذ أسلوب المسامحة والإحسان فيصلهم ويحسن إليهم وإن أساءوا ويكرمهم وإن أهانوه لأن هذا هو خلق المسلم الحق . وكأنّ بالحديث ينبهنا إلى حقيقة مؤداها أن صلة الرحم قد تتعرض لبعض المعوقات والمشاكل والمسلم مطالب بمحاولات جادة لقهر وإزالة ما قد يعوق طريقه ومسيرته ليصل رَحِمَه ممتثلا لأمر ربه مطيعاً للتوجيهات النبوية المشرفة .

---

[٦] سورة المؤمنون : الآية٩٦.

وفيه بعد نظر الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – حيث يغلق طريـق التذرع وإتخاذ المعاذير والتماس الحجج ليتبرأ أى مسلم من وَصْل رحمه بـأن مـن يجب وصلهم يقطعون رحمه .

وقد استعان الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأسلوب النفى والتوكيد حيث قال: "ليس الواصل بِالمكافئ" فحرف الجر هنا أفاد التوكيد للنفى حيث أفـاد ذلـك المعنى بنفيه اتصاف من يترك وصل رحمه لقطيعتهم إياه بالواصل – ثم قوله "ليـس الواصل" أى الواصل لرحمه حق الصلة كما أمر الشارع الحكيم . فلا تتفـق خلـق المسلم الواصل رحمه مع مجازاته ومكافأته من يقطعون رحمه بأن يقطع هو أيضـا. ويستخدم الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – الحرف العاطف (لكنّ) المشـدد النون للاستدراك أى العدول عن الحكم الأول .

ليس الواصل بالمكافئ :الذى يقطع رحمه فيصلها هو كريم الخلق والواصـل حقا لِرَحِمِه وليس المكافئ .

وقد استخدم النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم – من الأساليب والصـور والتعبيرات ما أدى إلى الوصول إلى الغاية المنشودة ، ورغـم الايجـاز فكلامـه وتوجيهاته – عليه السلام– بليغة وجليلة المعانى سامية المعنى يتضح منها الحـرص على الأمة المسلمة وتراحم أبنائها وتآلف أفرادها وإصلاح ذات البين تماسكا للبنـاء الاجتماعى أمام عوادى المحن ومستكره النوائب.

وفى استخدامه لأسلوب المقابلة والتضاد أكد المعنى [انقطعـت رحمـه] و[وصلها] . ثم فى قوله (انقطعت) و (وصلها) صورة بيانية فيها تجسيد للمعنى فى صورة محسوسة سهلة التمثل أمام الذهن وهذه استعارة مكنية .

ثم استخدامه لأسلوب الشرط الذى يفيد ان العلاقات البشرية بين الأقارب والأرحام قد يصيبها الفتور ويعتريها الضعف ولا تثبت على حال حيث قد يطرأ ما يعكر صفوة العلاقات بين الأقارب والأهل . كل ذلك يجب وضعه فى الاعتبار وأخذه فى الحسبان لسلوك المسلك الذى يأمر به النبى الكريم فى الحديث.

وأداته(الذى)وصفت للواصل الحق . وأسلوب الشرط " إذا انقطعت رحمه وصلها" .

إذا : ظرف للزمان المستقبل.

انقطعت : فعل الشرط وجاء ماضيا لكون ذلك صائر حقيقة وواقعا.

وجواب الشرط (وصلها) ماض وهو جواب الشرط وجزاؤه وجاء ماضيا لإفادة أن وصل الرحم المنقطعة من أخلاق المؤمن الواصل رحمه. فمن أراد أن يصل رحمه حقا فليهتدى بهدى النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم – وليسترشد به.

استعاذة الرحم بالرحمن :

قال معاوية وهو ابن أبى مُزَرِّد : حدثنى عمى أبو الحباب سعيد بن يسار عن أبى هريرة –رضى الله عنه– قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– " إنَّ الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة، قال نعم . أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لكِ . ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اقرءوا إن شئتم :﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ . أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٧) (٨).

---

(٧) سورة محمد : الآية ٢٢،٢٣،٢٤ .

(٨) أخرجه البخارى فى ٧٨ كتاب الأدب ١٣ باب من وصل وصله الله،مسلم٦/١٥ –صلة الرحم وتحريم قطيعتها /٤٥ البر.

أضواء حول الحديث :

الممعن النظر فى بليغ لفظ الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – يجد أنه قد أدى به المعنى وَجَلّى الفكرة بأدق لفظ وأروع تعبير وأجمل تصوير حينما أراد –عليه السلام– أن يحذر من سوء المغبة والعاقبة لكل قاطع رحم . وذلك لما ينتظره من عقاب الله تعالى له بقطعه وطرده من رحمته سبحانه.

وقد أورد النبى الكريم أسلوب المقابلة للتدليل على الثواب والعقاب ثواب صلة الرحم وبرها وعقاب قطيعة الأرحام ، وقد مزج بين أسلوبى الترغيب والترهيب وذلك فى قوله: " أما ترضين أن أَصِلَ مَن وصلك وأقطع من قطعك " ؟ فما أشقى من حرم رحمة الله تعالى ! وما أسعد من رحِمَه الله وشمله بعطفه .

وقد لجأ الرسول – عليه السلام – إلى هذا الأسلوب الحوارى المتدفق بالإثارة المشحونة بالعاطفة الإيمانية ، وذلك بأن أجرى الحديث بين الرحم وبين خالقها فى قوله " أما ترضين أن أصل من وصلك ... ؟ " قالت : بلى .

هذا وقد أجرى الرسول – صلى الله عليه وسلم – الحديث على لسان الرحم: وقيل أن هذا مجاز بلاغى أو ضرب من التخيل لمجرد التمثيل الاستعارى . ولكن لِمَ لا يكون هذا حقيقة؟فكما أن أعضاء جسم الانسان المختلفة فى الآخرة تشهد عليه فلِمَ لا تتكلم الرحم وقد خلقه الله تعالى عند المرأة وكلام الرحم نفسه أو أن يجسده الله تعالى ليس بمستحيل ولا مُعْجِز على رب العزة .

وقوله : " إن الله خلق الخلق : توكيد لعظمة الخالق من حيث أنه تعالى الموجد للخلائق من عدم وأنه مبدع صنعه على غير نظير ومثال سابق ، فهو إذن خالق قدير عليم بصنعته لطيف بمخلوقاته ، وفى هذا إشارة إلى أن الكون قد خلق

أولاً ثم هيأ الله هذا الكون وذلك لخلق آدم وذريته ، ثم خلق بعد آدم حواء من طبيعة تناسب طبيعة آدم وقد يكون هذا معنى قامت الرحم لبدء تناسل الآدميين من بنى آدم وحواء . وبدء التكاثر والتزواج والمصاهرات والأرحام بين الأمم والشعوب والقبائل.

قال تعالى :﴿ .. إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [٩].

نعم . قامت الرحم بلطف الله ورحمته بتكريمه للإنسان وتهيئة أسباب الحياة على الأرض وتجميل خلقه وتزويده بالعقل والروح والشريعة السمحة الغراء بإرسال الرسالات والرسل.

ومن رحمته أن تقوم الرحم ليعمر الكون ويتوافر الخلق على ذكر الله وعبادته والعمل على طاعته ، وما الرحم إلا قبس من رحمة الله الفياضة التى شملت كل المخلوقات . (وقامت الرحم) : تعبير دقيق جداً يبين أن الرحم قييم على أساسه نحكم على الإنسان ، فإذا ما بر وأحسن معاملة ذوى قرباه فقد وصل رحمه وامتثل فى ذلك لأمر ربه وأطاعه فهو مسلم رحيم صادق إسلامه ، وإن لم يصل رحمه بل قطعها فهو عاصٍ لربه شقى قد حرم رحمته .

وفى هذا أيضاً : " قامت الرحم " ما يبين طيب أثر صلة الأرحام بين الناس ووجوب وصلها فهو خلق الإيمان . ألا ترى قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [١٠].

---

[٩] سورة الحجرات: الآية ١٣.

[١٠] سورة البقرة : الآية٤٣.

فـ (أقيموا) فعل وجوبى الأداء والامتثـال لأداء الفريضـة ، إذن فصلـة الرحم فريضة واجبة الأداء والأمر بها لعلم الخالق من أن وصل الرحم خـير كـل الخير وأن قطعها شر كل الشر وهلاك كل الهلاك للقاطع رحمه .

وفى قوله (قامت الرحم) : يمعنى اقامها الله وبث فيها من فيض رحمتـه الحياة والرحمة والتراحم ، أقامها الله لتقوم بها المدنية والعمـران والتعـاون بيـن الناس، فإن إنسانا كائناً ما كان مهما أوتى من أسباب العيش لا يستطيع القيام علـى أمور حياته وما تتطلبه إلا بوصل غيره وبوصل غيره له ، فلذا جعـل الله غريـزة الاجتماع والأنس طبعاً جُبِل الانسان عليه ، لذا لا يمكنه الفكاك من صلة الأرحـام لأنها جزء من خلقه لا حياة له بدونها ، ومهما حاول وتحج بالحجج وتذرع بذريعـة التهرب أو التخلى عن وصل رحمه فقد تعمد الإفساد فـى الأرض ..هنـا يسـتحق قاطعو أرحامهم لعنة الله وغضبه حيث شذّوا وحادوا عن صراط ربهم المستقيم ولـم يطبقوا منهج القرآن الكريم.

وفى قوله (فقالت) : يحتمل أن يكون القول بلسان المقال بمعنـى تكلمـت ، ويحتمل أن يكون (قالت) بلسان الحال، وعلى هذا فالجملة الفعليـة (قـامت ... قالت) من قبيل التصوير والتخيل والاستعارة التمثيلية لإبراز أهمية صلـة الأرحـام ووجوب القيام بها . والله أعلم.

(وقالت الرحم هذا مقام العائذ من القطيعة) هذا التعبير وذاك التصوير يشـير إلى أن صلة الأرحام توكيد لأسباب الود والمحبة والألفة والـتراحم والرفـق بيـن الناس، ويشير أيضاً إلى أن قطيعة الأرحام جالبة لأسباب الكُره والشقاق وفسـاد ذات البين ومدعاة للعداوة والبغضاء ، ومحركة للشحناء وأحقاد النفوس وهذا ما لم يحبـه الله لعباده ، ولم يرضه الرسول – صلـى الله عليـه وسـلم – لأمتـه المسـلمة،

لذا قال –عليه الصلاة والسلام – مصوراً هذه المعانى : هــذا (مقــام العــائذ) أى العائذ بالله من القطيعة للأرحام ، وهنا إيجاز بحذف الجار والمجـــرور ، والتقديـــر (بالله).

وهناك إيجاز آخر بالحذف وهو العائذ بالله من أســـباب القطيعــة أو مــن الشيطان الذى يحرك العداوة والبغضاء فى نفوس الناس فيزين لهم الباطل ويبعدهــم عن الحق والخير لهم فيقطعوا أرحامهم .

وفى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – حكاية عما يدور من حوار بين الرحم وخالقها : قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك .. وأن أقطع مــن .. قالت: بلى .. بعد قول الرحم : فقالت : هذا مقام العائذ : فيه لطائف مــن المعــانى منها: أن الإنسان فى أمس الحاجة إلى عون ربه ورحمه ، وهو محتاج دوما إليـــه، فلا بد من تقوية الصلة برب العزة ولا سبيل إلى تحقق هذه الصلة ولا إلى الــنزول منزلا كريما عند الله تعالى إلا بالبر وصلة الأرحام. فويل لمن قطع صلتـــه بربــه لعقوقه أرحامه وقطعه الصلة بهم فحينئذ يكتب عند الله عاقا وإن كان بربه باراً.

وفى قوله –عليه السلام – (فذاك لكِ) توكيد لعدل الله تعالى فى إعطاء كـل ذى حق حقه وفيه نص على وجوب أداء حق الرحم والقيام بالواجبات إزائها ، ويعد ذلك بمثابة التقرير لحق مشروع ، ومن ثم فقد وجب النفاذ وحق الأداء . وقـــال الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَــهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَــانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [١١].

---

[١١] سورة النساء: الآية ١.

وهذه الآية الكريمة تفرض وتشرع صلة الأرحام وتجعل ذلك من تقوى الله وتقرن بين الطاعة والامتثال لأمره بصلة الأرحام وبين استجابته دعاء الناس ورحمته بهم ، وتجعل رحمته وعونه مرهونة بصلة الرحم ، فطالما أن الله واحد والأصل واحد هو آدم (نفس واحدة) فقد أصبح حَرِيًّا بالإنسان العاقل ألا يظلم أرحامه لأن هذا الظلم سيجنى هو نفسه ثمرته شقاءً وعذابا.

(والأرحام) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وتعنى الآية أن صلة الأرحام محمودة لأنها توحد واعتصام وقوة بدين الله عز وجل . إذن بين هذه الآية وقول الرحم فى الحديث الشريف صلة قوية حين يقول (هذا مقام العائذ) والآية تقول:(**الذى تساءلون به والأرحام**).

وقد ضمّن الرسول الكريم – عليه السلام– حديثه الشريف بالآية الكريمة التى يقول تعالى فيها ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُم إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ..** ﴾ [١٢]. إشارة إلى أنه – صلى الله عليه وسلم – يحتج بالآية كحُجة قوية ودليل لا يدحض لكونه كلام السماء من لدن رب العزة وهو المصدر التشريعى الأول، وأنه – عليه السلام– لا ينطق عن الهوى ، وإنما يبلغ رسالة ربه ، وقد قدم الرسول – صلى الله عليه وسلم – لذكر الآية المباركة بقوله : " فَاقْرَءُوا مَا شِئْتُمْ..." للتأكيد على دعوتهم للعمل بكتاب الله عز وجل والامتثال لطاعته وذلك بصلة الأرحام واتباع سنته – صلى الله عليه وسلم – وعدم معصيته.

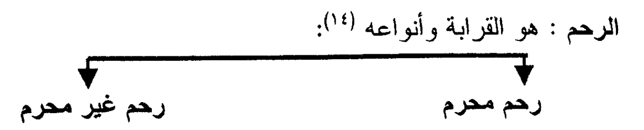
---

[١٢] سورة محمد : الآية ٢٢.

من فقهيات صلة الرحم :

تعالج مصنفات الفقه والتشريع موضوع **صلة الرحم** فى إطار التصور الآتى [١٣].

الرحم : هو القرابة وأنواعه [١٤]:



رحم محرم	رحم غير محرم
وهم أصل المرء وإن علا ، كالآباء والأجداد ، وفرعه وإن نزل كالأولاد وأولادهم ، وفرع أبيه وإن نزل كالأخوة وأولادهم ، وفرع جده الطبقة الأولى فقط وهم الأعمام والعمات والأخوال والخالات ، دون أولادهم جميعاً	وهم من عدا من ذكرناهم من الأقرباء كأبناء الأعمام

وكان عمر –رضى الله عنه –يعتبر صلة الأرحام أمرا بديهيا ، **لأن** من واجب الإنسان أن يبر من يبره ، ولكن الثواب العظيم فى أن نصل من أرحامنا من قطعنا ، فكان يقول : ليس الوصل أن تصل من وصلك ، ذلك القصاص ، ولكن الوصل أن تصل من قطعك[١٥] .

---

[١٣] موسوعة فقه عمر بن الخطاب . محمد رواس قلعه جى.

[١٤] المرجع السابق ص٣٣٣.

[١٥] عبد الرازق ٤٣٨/١٠ و ١٧١/١١.

وكان عمر ينهى أن يدخل على النساء أحد من الرجال إلا ذو رحم محرم. فقد قال : لا يدخل على امرأة مغيبة – غاب عنها زوجها – إلا ذو محرم، ألا وإن قيل : حموها ؟ ألا وإن حموها الموت[١٦].

وقال مرة : لا يدخل رجل على مغيبة ، فقام رجل فقال : إن لى أخا أو ابن عم، خرج غازيا وأوصانى بأهله ، فأدخل عليهم ؟ قال : فضربه عمر بالدّرّة ، ثم قال : إذن كذا ، إذن دونك وقم على الباب لا تدخل ، فقل : ألكم حاجة ؟ أتريدون شيئا ؟[١٧].

ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة وقطيعتها معصية كبيرة ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ، ومنها مستحب لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لا يسمى واصلا.

الرحم الواجب صلته :

اختلف العلماء فى حد الرحم التى تجب صلته [١٨] ، فقيل هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكر والآخر أنثى حرمت مناكحتهما ، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال ، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ونحوه ، وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال، واحتج وقيل هو

---

[١٦] مصنف عبد الرازق ١٣٧/٧ وابن أبى شيبة ٢٣٢/١.

[١٧] عبد الرازق ٧ / ١٣٧.

[١٨] انظر / موسوعة فقه عمر بن الخطاب – السابق الإشارة إليها – ص٣٣٣.

عام فى كل رحم من ذوى الأرحام فى الميراث يستوى المحرم وغيره ، ويدل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم – " .. ثم أدناك ثم أدناك ".

وهذا القول الثانى هو الصواب ، ومما يدل عليه حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أهل مصر الذى رواه أبو ذر الغفارى " استوصوا بأهل مصر خيرا فإن لهم ذمة ورحما ".

وفى رواية أخرى : [إنكم] ستفتحون مصر وهى أرض يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما .

وفى أخرى " فإن فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما – أو قال: ذمة وصهرا – فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة ، فاخرج منها، قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن ابنَى شرحبيل يتنازعان فى موضع لبنة، فخرج منها ".

وفى أخرى " فرأيت ، فخرجت " أخرجه مسلم[١٩].

تعلق الرحم بالرحمن :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم– قال: "خلق الله الخلق فلما فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال **(مه)** قالت: هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب . قال : فذاك .. قال أبو هريرة–رضى الله عنه–: فاقرءوا ما شئتم **(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ)**.

---

[١٩] رواه مسلم فى الحديث ٢٥٤٣ فى فضائل الصحابة ، باب وصية النبى – صلى الله عليه وسلم– بأهل مصر .

أضواء حول الحديث :

(خلق الله الخلق فلما فرغ منه) : أى قضاه وأتمه أو نحو ذلك مما يشهد بأنه مجاز من القول فإن الله تعالى لن يشغله شأن عن شأن .

(قامت الرحم) أى بأن تجشمت أو قام مَلَك فتكلم على لسانها.

(فأخذت) مفعوله محذوف فى أكثر الروايات ، وفى رواية ابن السكين فأخذت (بحِقو الرحمن) بفتح الحاء وكسرها ، وفى رواية (بحقوي الرحمن) بالتثنية و(الحقو) الإزار . ويجوز أن تكون هذه الصورة استعارة مكنية بأن يشبّه الرحم بإنسان مستجير بمن يحميه ويحرسه ويذبّ عنه ما يؤذيه ثم أسند على سبيل الاستعارة التخييلية ما هو لازم المشبه به من القيام ليكون قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة ثم رشحت الاستعارة بأخذ الحقو والقول.

وقوله (بحقو الرحمن) استعارة أخرى . والمراد تعظيم شأن الرحم وفضيلة واصلها وإثم قاطعها ، فقال تعالى (مه) اسم فعل بمعنى اكفف وانزجر. وقال ابن مالك (مه) هنا هى (ما) الاستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت والشأن ألا يفعل بها ذلك وهى مجرورة.

(قالت هذا مقام العائذ) بمعنى قيامى هذا قيام المستجير بك من القطيعة، وعند أحمد أنها تكلم بلسان ذَلق . قال تعالى : أترضين وفى نسخة ألا ترضين

(أن أصل مَن وصلَكِ) بأن أتعطف عليه وأرحمه وفضلاً.

(وأقطع من قطعك) بمعنى فلا أرحمه .

قالت : بلى يارب أى (رضيت) قال : فـذاك إشـارة إلـى قولـه : (ألا ترضين؟)

(فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم ، (إن توليتم) أحكام الناس فـأمرتم عليـها وفارقتم عن أحكام القرآن .

(أن تفسدوا فى الأرض) أى بالمعصية والبغى وسفك الدماء.

(وتقطعوا أرحامكم) تجاذبا للولاية أو رجوعا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من مقاتلة الأقارب . والمعنى : أنهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا حقـى بأن يتوقع منهم ذلك .

قال القاضى عياض : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة وقطيتـها معصيـة كبرى ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها تـرك المـهاجرة ولـو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ومنها مستحب[٢٠].

وما برح الإسلام مؤكدا على صلة الرحم وفضلها فقـد كـان رب العـزة سبحانه وتعالى يربى الجماعة المؤمنة بالقرآن فى ظل الأحداث ويرتفع بمشـاعرها إلى مستوى التخلق بأخلاق الله . وقصة أبى بكر – رضى الله عنـه – فـى هـذا المجال[٢١]:

أن اليهود والمنافقين حين عجزوا عن حرب الدعوة وجها لوجـه حاربوهـا بإشاعة الفتنة فى صفوف المؤمنين فرموا بالإفك والكذب والافـتراء أم المؤمنيـن

---

[٢٠] عمدة القارئ ١١/١٨١.

[٢١] من قيم الحياة فى القرآن الكريم للأستاذ محمد شديد ، ص ٧٧ – ٧٨.

السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق زوجة النبى – صلى الله عليه وسلم – وأحبّ زوجاته وأبوها – رضى الله عنه – أحبّ أصحابه واضطربت المدينة شهراً كاملاً بالفتنة حين وصل أخبار هذا الحديث إلى النبى الكريم. وعلم به أبو بكر ثم عرفته عائشة حين نزلت براءتها من السماء . ولأشد ما كان حزن أبى بكر وألمه ، فهى طعنة موجهة لعرضه وشرفه موجهة للدعوة وللمسلمين . ويعجب أبو بكر من هذه الفِرية ويقول :

" والله ما رمينا بهذا فى الجاهلية أفنرمى به فى الإسلام " ؟!!.

وكان (مُسْطَح بن أثاثة) ممن تورطوا فى هذه الفرية وأذاعوا أحاديث الإفك، وكان من فقراء المهاجرين ، وهو قريب أبى بكر وكان الصديق يعوله وينفق عليه، وفى غمرة الحزن والألم والضيق أقسم أبو بكر – رضى الله عنه – أن يقطع عنه معونته وألا ينفعه بنافعة أبداً ولكن الله تعالى يريد للمؤمنين أن يرتفعوا إلى مقام العفو والإحسان، يريد أن يسمون عن مقام الألم إلى مقام التخلق بأخلاق الله فنزل قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٢).

وتلا الرسول –صلى الله عليه وسلم– الآية على أبى بكر الصديق –رضى الله عنه – ففاضت عيناه وقال : بلى ياربنا نحب أن تغفر لنا . وأعاد إلى (مسطح) ما كان ينفق عليه وهو يقول : والله ما أنزعها منه أبدا.

---

(٢٢) سورة النور: الآية ٢٢.

تلك هى القمة التى سمت إليها أخلاق الرعيل الأول من المؤمنين بالتخلق بأخلاق الله وذلك هو الميزان الذى جعل من صفات الله مثلا أعلى وجعل للأخلاق ضوابط تحكمها مهما بلغ منطق البيئة ونوازع النفوس وضغط الأحداث.

قطيعة الرحم وعقابها :

حدثنا ابن أبى عمر وسعيد بن عبد الرحمن المخزومى ، قال حدثنا سفيان ابن عيينة عن الزهرى عن أبى سلمة قال : اشتكى أبو الرداد الليثى فعاده عبد الرحمن بن عوف فقال: خيرهم وأوصلهم ما علمت أبو محمد [٢٣]. فقال(عبد الرحمن): سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " قال الله عز وجل : أنا الله، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته – أو قال : بَتَتُّه [٢٤].

---

[٢٣] أبو محمد هو عبد الرحمن بن عوف -رضى الله عنه-.

[٢٤] رواه أبو داود رقم ١٦٩٤ فى الزكاة ، باب صلة الرحم ، والترمذى رقم ١٩٠٨ فى البر والصلة ، باب ما جاء فى قطيعة الرحم ، من حديث سفيان عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – ، وإسناده منقطع ، فإن أبا سلمة لم يسمع من أبيه ، قال الترمذى : حديث سفيان عن الزهرى حديث صحيح، قال : وروى معمر هذا الحديث عن الزهرى عن أبى سلمة عن الرداد الليثى عن عبد الله بن عوف، ومعمر كذا يقول ، قال محمد (يعنى البخارى) وحديث معمر خطأ، قال الحافظ فى (التهذيب): وروى أبو داود من حديث معمر عن الزهرى عن أبى سلمة وهو الصواب أن ردادا أخبره عن عبد الرحمن بن عوف ... الخ ، قال : ورواه البخارى فى الأدب المفرد ، من حديث محمد بن أبى عتيق عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى الرداد الليثى قال الحافظ : قلت : وتابعه شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى كذلك ، وهو الصواب ، قال : وقال أبو حاتم الرازى: إن المعروف : أبو سلمة عن عبد الرحمن ، وأما الرداد الليثى ، فإن له فى القصة ذكرا ، إلا أن رواية شعيب بن أبى حمزة تُقَوِّى رواية معمر ، قال : وللمتن متابع رواه أبو يعلى بسند=

أضواء حول الحديث :

(عاده) من العيادة : زيارة المريض.

(اشتكى) توجع من المرض.

(فقال) أى أبو الدرداء .

(أبو سلمة) هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى.

(خيرهم) مبتدأ ، و (أُوصلهم) عطف على المبتدأ.

(أبو محمد) كنية عبد الرحمن بن عوف وهو خبر المبتدأ.

(خلقت الرحم) أى قدرتها أو صورتها.

(أنا الرحمن) أى المتصف بهذه الصفة .

(أنا الله) توطئة للكلام : تمهيد وتقدمة حيث ذكر العَلَم الخاص (الله) واللفظ خبر للمبتدأ .

(أنا) ثم ذكر الوصف المشتق من مادة الرحم فقال (وأنا الرحمن) أى المتصف بهذه الصفة .

= صحيح من طريق عبد الله بن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف من غير ذكر أبى الرداد فيه (جامع الأصول فى أحاديث الرسول تأليف الإمام مجد الدين ابى السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزرى ٥٤٤-٦٠٦هـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الجزء السادس - ص ٤٨٦.

(وأخذت لها) أى للرحم . (من اسمى) أى الرحمن.

وفيه إيماء إلى أن المناسبة الاسمية واجبة الرعاية في الجملة وإن كان المعنى على أنها أثر من آثار رحمة الرحمن ويتعين على المؤمن التخلق بأخلاق الله تعالى والتعلق بأسمائه وصفاته .

ولذا قال : (فمن وصلها وصلته) أى إلى رحمتى أو محل كرامتى .

(ومن قطعها بَتَتّه) أى قطعته من رحمتى الخاصة .

تراجم الرواة

جندب بن جنادة ، أبو ذرّ الغفارى:

الزاهد المشهور، الصادق اللهجة أحد السابقين إلى الإسلام ، وقصة إسلامه فى الصحيحين مع شيءمن الاختلاف فى الرواية [٢٥]. وعذب فى سبيل إعلان إسلامه وأوذى كثيرا حتى أكب عليه العباس بن عبد المطلب وخلصه، قائلا للمشركين: ويلكم أتقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار، فأطلقوه . وقيل : كان آدم ضخما جسيما ، كث اللحية ، وكان رأسا فى الزهد والصدق والعلم والعمل، قوالا بالحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم – على حدّةٍ فيه– وكان رجلا شجاعا، يصيب فى الرمى، يبتدئه الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذا حَضَرَ ويفتقده إذا غاب، فاستحق قوله –عليه الصلاة والسلام– : " ما أَقلّت الغبراء ولا

---

[٢٥] انظر قصة إسلام أبى ذر فى صحيح البخارى ٦/٤٠٠ و ٧/١٣٢ فى المناقب باب إسلام أبى ذر ، وفى صحيح مسلم رقم (٢٤٧٤) وطبقات ابن سعد ٤/٢٢٤، ٢٢٥ .

أَظَلَّت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبى ذر[٢٦] ، وكان مثال التواضع ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبى ذر. وتأخر يوم تبوك عن الركب لِعِلَّة كانت فى بعيرة، فحمل متاعه على ظهره ثم خرج ماشيا ، فنظر ناظر من المسلمين، فقال: إن هذا الرجل يمشى على الطريق فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : كن أبا ذر، وبعد قربه من القوم قالوا : يارسول الله : هو والله أبو ذر ، فقال : يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ، ويحشر وحده .

روى عنه : حذيفة بن أسيد الغفارى ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وجبير بن نفير ، وأبو مسلم الخولانى ، وزيد بن وهب ، وعبد الله بن الصامت ، وأبو عثمان النهدى ... وغيرهم .

وله ٢٨١ حديث اتفق الشيخان على ١٢ حديثا وانفرد البخارى بـ١٢ حديثا ومسلم بـ ١٩ حديثا .

وتوفى بالربذة سنة ٣٦هـ.

جبير بن مطعم بن عدى :

ابن نوفل بن عبد مناف بن قصى، شيخ قريش فى زمانه (أبو محمد)، ويقال (أبو عدى) ابن عم النبى – صلى الله عليه وسلم – . من الطلقاء [يوم الفتح] الذين حَسُن إسلامهم ، وقد قدم المدينة فى فداء الأسرى من قومه ، وكان موصوفا بالحلم ، ونبل الرأى وسداده كأبيه ، وكان أبوه هو الذى قام بنقض الصحيفة يوم المقاطعة ، وكان يحنو على أهل الشِّعب ويصلهم فى السر ولذلك قال النبى –صلى

[٢٦] طبقات ابن سعد ٤/٢٢٨.

الله عليه وسلم – يوم بدر : " لو كان المطعم بن عدى حيا وكلمنى فى هؤلاء النَّتْنَى لتركتهم له[٢٧]، وهو الذى أجار النبى – صلى الله عليه وسلم – حين رجع من الطائف حين طاف بعمرةٍ . وكان شريفا مطاعا من حلماء قريش وسادتهم وكان يؤخذ عن النسب. وكان من عمال عمر على الكوفة . له رواية أحاديث.

روى عنه : ولداه الفقيهان محمد ونافع وسليمان بن صرد وسعيد بن المسيب..وآخرين.

توفى جبير بن مطعم سنة ٥٩ للهجرة.

<u>عبد الرحمن بن عوف :</u>

ابن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى (أبو محمد) أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى ، المشهود له بالجنة –وهو سيد من سادات المسلمين الذين شهدوا بدرا وقال الله لهم : اعملوا ما شئتم ، ومن أهل هذه الآية ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[٢٨].

ولقد صلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وراءه ، وكان من أغنياء المسلمين الذين يتصدقون فى سبيل الله . ومن الأمور التى يذكر فيها : عزله لنفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمه من أشار به أهل الحل والعقد فنهض فى

---

[٢٧] أخرجه البخارى ١٧٣/٦ فى الخمس باب : من النبى – صلى الله عليه وسلم– على الاسارى من غير أن يخمس.

[٢٨] سورة الفتح : الآية١٨.

ذلك أتم نهوض بجمع الأمة على الخليفة عثمان ، ولو كان محابيـا فيـها لأخذهـا لنفسه أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه (سعد بن أبى وقاص) .

وكان عبد الرحمن رجلا طويلا حسن الوجه ،رقيق البشرة ، فيه جَنَأ أبيض، مشرب بحمرة ، لا يغير شيبه.

له عدة أحاديث –رضى الله عنه – أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وتوفـى سنة ٣١هـ ودفن بالبقيع.


بِرّ الوالدَيْن

بِـرّ الوالديـن

اللغويات :

برر : البر : الصدق والطاعة .

وفي التنزيل: **(لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)** أراد ولكنّ البر بر من آمن بالله. قال ابن سيده : وهو قول سيبويه، وقال بعضهم : ولكن ذا البر من آمن بالله .

وقال -صلى الله عليه وسلم- : " عليكم بالصدق فإنه يهدى إلى البر" واختلف العلماء فى تفسير البر ، فقال بعضهم : البر الصلاح ، وقال بعضهم : البر الخير . وجعل لبيد البر التقى حيث يقول : وما البِرُّ إلَّا مُضْمَرَاتٌ من التُّقَى.

وقال عز وجل ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [1]، قال الزجاج: قال بعضهم كل ما تقرب به إلى الله عز وجل ، من عمل خير ، فهو إنفاق .

قال أبو منصور : والبر خير الدنيا والآخرة ، فخير الدنيا ما ييسره الله تبارك وتعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات ، وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم فى الجنة ، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته .

ورجل بَرّ بذى قرابته وبار من قوم بررة وأبرار ، والمصدر البِرُّ . وقال الله عز وجل :﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [2] ، أراد ولكن البر بر من آمن بالله.

---

[1] سورة آل عمران : الآية٩٢.

[2] سورة البقرة : الآية١٧٧.

وفى حديث الاعتكاف : البر تُرِدْن ، أى الطاعة والعبادة . ومنه الحديث : ليس البر الصيام فى السفر . وفى كتاب قريش والأنصار : وإن البر دون الإثم أى أن الوفاء بما جعل على نفسه دون العذر والنكث .

وَبَرَّه : اسم علم بمعنى البر ، معرفةٌ ، فلذلك لم يُصرّف ، لأنه اجتمع فيه التعريف والتأنيث.

وقد بر ربّه . وبرّت يمينه تبرُّ وتَبِرّ برّا وبِرّا وبرورا : صدقت، وأبَرَّها:أمضاها على الصدق. والبَرُّ : الصادق . وفى التنزيل العزيز:﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [٣]. والبَرُّ من صفات الله تعالى وتقدس : العطوف الرحيم اللطيف الكريم.

قال ابن الأثير : فى أسماء الله تعالى البَرُّ دون البارّ ، وهو العطوف على عباده بِبِرّه ولطفه ، والبر والبار بمعنًى ، وإنما جاء فى أسماء الله تعالى البرُّ دون البار. ورجل بَرّ من قوم أبرار ، وبار من قوم بررة ، وروى عن ابن عمر أنه قال: إنما سماهم الله أبرارا لأنهم بروا الآباء والأبناء ، وقال: كما أن لك على ولدك حقاً كذلك لولدك عليك حق. وكان سفيان يقول : حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا بلغ وأن يُحِجّه وأن يحسن أدبه.

والبِرّ: ضد العقوق ، والمَبَرَّة مثله . وبَرِرْت والدى ، بالكسر ، أبره بِرّا وقد بر والده يَبَرّه ويبِرُّه بِرًّا ، فَيَبَرُّ على بررتُ ويبِرّ على بَرَرْت على حد ما تقدم فى اليمين ، وهو بَرّ به وبار ، عن كراع ، وأنكر بعضهم بار. وفى الحديث : تمسحوا بالأرض فإنها بَرَّة بكم أى تكون بيوتكم عليها وتُدفنون بها .

---

[٣] سورة الطور: الآية٢٨.

قال ابن الأثير : قوله : فإنها بكم برة أى مشفقة عليكم كالوالدة البَرَّة بأولادها يعنى أن منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم .

وفى حديث زمزم : أته آت فقال : احْفِر بَرَّة ، سماها برة لكثرة منافعها وسعة مائها.

وفى حديث حكيم بن حزام: أرأيت أمور كنت أبررتها أى أطلب بها البر والإحسان إلى الناس والتقرب إلى الله تعالى.

وفى الحديث ، فى بر الوالدين : وهو فى حقهما وحق الأقربين من الأهل ضد العُقُوق وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم .

ومن كلام العرب السائر : فلان ما يعرف هِرًّا من بِرٍّ ، معناه ما يعرف من يَهِرُّه أى من يكرهه ممن يَبِرُّه.

ومن كلام سليمان : من أصلح جُوّانِيَّتَه بَرَّ الله بَرَّانيته ، المعنى : من أصلح سريرته أصلح الله برانيته [٤].

مدخل لمعانى البر:

* فى القرآن الكريم:

بر الوالدين هو التوسع فى الإحسان إليهما. فقد قال تعالى يصف يحيى -عليه السلام- ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [٥].

---

[٤] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خياط – دار لسان العرب بيروت – المجلد الأول (ا ر) ص١٩٠ ، ١٩١.

[٥] سورة مريم : الآية١٤.

وحين تكلم عيسى – عليه السلام– فى المهد قال : ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** ﴾ [٦].

وقال تعالى: ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك** ﴾ [٧].

*** فى قول الإمام أبى حامد الغزالى:** [٨].

العبد إنما يكون بَرًّا بقدر ما يتعاطاه من البر ، لا سيما والديه وأستاذه وشيوخه . وقد روى أن موسى – عليه السلام – لما كلمه ربه رأى رجلا قائما عند ساق العرش ، فتعجب من علو مكانه ، فقال : يارب ، بِمَ بلغ العبد هذا المحل ؟ فقال: إنه كان لا يحسد عبدا من عبادى على ما آتيته ، وكان بارا بوالديه.

*** فى الحديث :**

فى الحديث : فى بر الوالدين وهو فى حقهما وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم . ويأتى لاحقا أحاديث نبوية شريفة تدور فى فلك هذا المعنى الكريم كمكرمة من مكارم الأخلاق وحق من الحقوق التى فرضها الله سبحانه وتعالى على المرء فى مواجهة والديه .. بل وجعلها الله فى قرآنه الكريم المتعَبَّد به إلى يوم الدين – فى منزلة تسبق منزلة الجهاد فى سبيل الله.

---

(٦) سورة مريم : الآية٣٢.

(٧) سورة لقمان : الآية١٤.

(٨) المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، ص١٢٣.



وأنتقل الآن إلى الأحاديث النبوية الشريفة التى مدار الحديث فيها حول بـــر الوالدين .

أحب الأعمال إلى الله :

عن عبد الله بن مسعود [٩] – رضى الله عنه – قال : ســـألت رســـول الله –صلى الله عليه وسلم– أى العمل أحبُّ إلى الله ؟ قال : " الصلاة على وقتها ، قلت: ثم أيٌّ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله» [١٠].

أضواء حول الحديث :

(الصلاة على وقتها) أى وقتها ، أو فى أول وقتها ، والأول أصح .

قال ابن دقيق العيد : ليس فى هذا اللفظ ما يقتضـــى أولا وآخـــرا ، وكـــأن المقصود به الإحتراز عما إذا وقعت قضاءً، وتعقب بأن إخراجها عن وقتها محـــرم، ولفظ (أحبُّ) يقتضى المشاركة فى الاستحباب ، فيكون المـــراد : الاحـــتراز عـــن إيقاعها آخر الوقت، وأُجيب بأن المشاركة إنما هى بالنسبة إلى الصلاة وغيرها مـــن الأعمال ، فإن وقعت الصلاة فى وقتها كانت أحب إلى الله من غيرها من الأعمـــال،

---

[٩] انظر ترجمة الراوى فى ذيل موضوع " بر الوالدين " .

[١٠] أخرجه البخارى فى أربع مواضع : ٩ كتاب مواقيت الصلاة – ٥ باب فضل الصلاة لوقتـــها، ح٥٢٧، ٥٦ كتاب الجهاد والسِّيَر – ١ باب فضل الجهاد والسير ، ٧٨ كتاب الأدب ، ١ باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ح ٢٧٨٢ ، ٧٨ كتاب الأدب ١ باب البر والصلة ، وقول الله تعالى (وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) ح ٥٩٧٠ ، مسلم فى ١ كتاب الإيمـــان ٣٤ بـــاب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ص٦٢ ط. كتاب الجمهورية ، فى البر ، ١/٤٥ بـــاب بر الوالدين ، ح ٢٥٤٨ " جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى – تحقيـــق عبد القادر الأرناؤوط – دار الفكر – الكتاب الأول – ح ١٨٨ ص ٣٩٧.

فوقع الاحتراز عما إذا وقعت خارج وقتها من معذور كالنائم ، والناسى ، فإن إخراجهما لها عن وقتها لا يوصف بالتحريم ، ولا يوصف بكونه أفضل الأعمال مع كونه محبوبا ، ولكن إيقاعها فى الوقت أحب [١١].

(بر الوالدين) البر هو كل أعمال الخير ، وبر الوالدين هو الإحسان إليهما بالقول ، وبالفعل ، والسعى فى خدمتهما ، ورعايتهما فى الكبر ، والعجز ،والمرض، وموالاتهما إذا استقل فى المعيشة عنهما ، وكذلك عدم إهمالهما أو سبّهما أو حتى التأفف فى وجهيهما ، وأن يكون خاضعاً لأوامرهما ، ولا يعصيهما إلا فيما استثناه القرآن كدعوة الوالدين الابن للإشراك بالله أو الكفر به أو إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، والله أعلم .

(الجهاد فى سبيل الله) وهو الدفاع عن دين الله عز وجل ورفع رايته خفاقة، وقتال الكافرين والملحدين حتى يمتنعوا عن الإساءة إلى الله عز وجل أو لدينه أو لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بشرط أن يكون إخلاصاً لله وليس رياءً لأحد.

روايات فى أحاديث بر الوالدين واختلاف مدلولاتها اللفظية

حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك. قال ثم من ؟ قال : ثم أمك، قال ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك[١٢].

---

[١١] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٣/٢ – التعقيب على حديث رقم ٥٢٧.

[١٢] أخرجه البخارى فى ٧٨ – كتاب الأدب ٢ باب من أحق الناس بحسن الصحبة ، ومسلم فى ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ١ باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

ولهذا الحديث روايات متعددة .. فلو قسمنا هذه الروايات أقساما ثلاثة لوصلنا إلى النتيجة الآتية :

الجزء الأول من الروايات:

١- من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

٢- من أحق الناس بحسن الصحبة ؟

٣- أي الناس أحق مني بحسن الصحبة ؟

٤- من أبر ؟

أما الجزء الثاني من الروايات فهو :

١- أمك ؟ ثم من ؟ ثم أمك ، ثم من ؟ ثم أمك ، ثم من ؟ ثم أبوك .

٢- أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك

أما الجزء الثالث من الروايات فهو :

١-ثم أدناك أدناك .

٢-فقال نعم وأبيك لتنبأن .

تحليل الروايات المتعددة للحديث :

صحابتي : الصحابة بمعنى الصحبة . ويقول الإمام النووي فيه الحث على بر الأقارب ، وأن الأم أحقهم بذلك ، ثم بعدها الأب ، ثم الأقرب فالأقرب.

ويرجع تقديم الأم على الأب في حسن الصحبة وأولوية الرعاية إلى كثرة تعبها وتحملها من المتاعب أكثر مما يتحمل الأب .. مثل الحمل ، والوضع ،

والإرضـاع. هذا بالإضافة إلى السهر عليه ، وتمريضه ، وإعـداد طعامـه وغذائـه وشرابه، وخدمته وتمريضه وغير ذلك .

وقد أشار إلى المعانى السابقة قول الله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [١٣].

فالحمل وهنا على وهن ، وضعفا على ضعف ، والوضع كرها ، والإرضاع سنة بسهرها وتعبها ونصبها وآلامها وإرهاقها ، ثم سنة أخرى ، قد تكون أكثر شقاءً من السنة الأولى قد تتعرض فيها الأم للهلاك فِدْيةً لابنها.

لذا ترى (الله) فى (قرآنه) الكريم وصى الإنسان بالإحسان إلى والديه، ولـم يذكر من الأسباب إلا ما تعانية الأم إشارة إلى عظم حقها [١٤].

صور حسن الصحبة للأبوين:

المقصود بالأبوين الأب والأم ، ومن حسن المصاحبة لهما ما يلى :

١- الإنفاق عليهما طعاما وشرابا ومسكنا ولباسا وما إلى ذلك من حاجـات المعيشة إن كانا محتاجَيْن .

٢- إن كان الأبوين فى عيشة دنيا أو وسطى وكان الابن فى عيشة ناعمـة راضية فيجب أن يرفعهما إلى درجتـه أو يـزد وذلـك إحسـانا فـى الصحبة.. وفى هذا الصدد يجمل تذكر ما فعل يوسف –عليه السـلام– مع أبويه عندما أوتى المُلْك . لقد رفعهما على العرش بعد أن جاء بـهما من البدو.

---

[١٣] سورة الأحقاف : الآية ١٥.

[١٤] الأدب النبوى للمرحوم محمد عبد العزيز الخولى ط٢ ، سنة ١٩٣٧م، ص١١١.





١- يجب صلة الرحم حتى وإن كانت كافرة .

٢- كما يجب النفقة على الوالدين سواء كانا مؤمنَيْن أو كافرَيْن .

٣- فيه منقبة ومكرمة لأسماء بنت أبى بكر إذ أنها رفضت أن تصل أمـها بالإحسان قبل أن يُؤذن لها من قِبَل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

٤- الإحسان شيء والود شيءآخر وشاهد ذلك قوله تعالى ﴿ لَّا يَنْـهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَـبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [١٧].

وكثيرا ما قرن الله تعالى الأمر بتوحيده بالإحسان إلـى الوالديـن كقولـه تعالى﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [١٨].

وكقوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

ثم بين حقوقهما على الأولاد وبخاصة حال الكبر بقوله تعالى :﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [١٩].

وتوصى الآيتان الكريمتان بلين الجانب والتواضع والرحمة وحسن الخلـق ورعاية الوالدين خاصة فى شيخوختهما ، فما أحوجهما فى هذه السن لمزيد من البر والعطف ولين الجانب.

---

[١٧] سورة الممتحنة : الآية ٨.

[١٨] سورة النساء : الآية٣٦.

[١٩] سورة الإسراء : الآية٢٣ ، ٢٤.

وتأمل قول الله تعالى (**عندك**) ولم يقل الله تعالى : (**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ**) لأن (العندية) هنا تشير إلى معنى إنسانى كبير هو أن الوالدين حال الكِبَر كالضَّيْف الموجود عندك ما يلبث أن يرتحل ، فعليك بإكرامه ، كذلك الوالدان قد قرب ارتحالهما من هذه الدار إلى الدار الباقية .

رَغِمَ أَنْفُ مَنْ ؟

وقد قال الصادق المعصوم – صلى الله عليه وسلم – فى الحديث الذى رواه أبو هريرة : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه " قيل من يارسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر ﴾ [٢٠]: أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة . هذه رواية مسلم [٢١].

---

[٢٠] بالإضافة . و " أحدهما " أو كلاهما " مرفوعان ، هكذا فى جميع روايات مسلم ، وفى كتاب الحميدى وفى بعض نسخ المصابيح ، وقد غيروا فى بعضها إلى قوله " عنده " بالهاء ، "وكليهما " بالنصب. نعم هو فى الترمذى كذا عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أنه قال -صلى الله عليه وسلم - " رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر ، فلم يدخلاه الجنة ".

قال الشيخ محى الدين النووى : معناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك، سبب لدخول الجنة، فمن قصر فى ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه .

قال فى المظهر : و " عند الكبر " ظرف فى موضع الحال، والظرف إذا كان فى موضع الحال : يرفع ما بعده " فأحدهما " مرفوع بالظرف ، و " أو كلاهما" معطوف على أحدهما.

[٢١] مسلم رقم ٢٥٥١ فى الأدب ، باب رغم أنف من أدرك أبويه فلم يدخل الجنة. والترمذى رقم ٣٥٣٩ فى الدعوات، باب رقم ١١٠ وحسّنه وصححه ابن حبان ، وفى الباب عن كعب بن عجرة عند الحاكم وصححه . وعن جابر عند الطبرانى ، من طرق ، حسّن أحدها الحافظ المنذرى ، وعن مالك بن عمرو القشيرى عند أحمد فى "المسند" من طرق ، حسّن أحدها المنذرى أيضا.

أضواء حول الحديث :

(رغم أنفه) الرغام : التراب ، ورغم أنفه ، أى : لصق بالتراب.

والحديث أخرجه الترمذى مع فصلين آخرين من غير هذا المعنـى ، وهـو مذكور فى موضعه .

ولصق بالتراب كناية عن الذل والعار والتقصير والخذلان لمـن لا يغتنم فرصة حياة والديه ثم يجتهد فى طاعتهما والإحسان إليهما حينئذ.فهو لطاعته وبـره لجدير برضا ربه ودخول جنة رضوانه ، وجمال هذا الحديث وبلاغته تكمن فى عدة وجوه منها : قوله : " من أدرك أبويه أو ... ولم يدخل الجنة " قرن بين بر الوالدين ودخول الجنة ، وأن دخول الجنة لا يتحصل إلا بالعمل الصالح (بر الوالدين) وإنمـا يكون فى هذه الدنيا التى هى دار عمل. وهى فرصة سانحة للتزود بخير الأعمال.

وكأنما بهذا الحديث يدعو الأبناء إلى المبادرة والتنافس فى طاعة الوالديـن فى حياتهما قبل أن تضيع الفرصة فلا ينفع الندم. وفى الحديث إيجاز بحذف جملـة الشرط وتقديره : فلم يحسن إليهما ولم يطعهما ولم يبرهما . وعلم المحـذوف مـن قوله -عليه السلام- " ثم لم يدخل الجنة " بمعنى أن عاق والديه شقى لأنه يحرم من جنة الله . أى أن هذا الحديث الشريف يستعمل أسلوب الترهيب والتحذير.

وفى تكرار " رغم أنفه " ثلاث مرات تأكيداً وإثارة للانتباه توكيـداً للخيبـة والخسارة والبوار للمتهاون فى حقوق والديه عليه الناكر لفضلهما الجاحد معروفـهما لأنه حينئذ قد حرم رحمة ربه.

والمتدبر لحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يجده أفضل معلم لنزوعه إلى خلق وابتكار مواقف تعليمية للمسلمين عن طريق المناقشة بطرح سؤال أو إثارة موقف بجملة أو عبارة يتبعها نقاش وحوار بينه وبين جلسائه فيجيبهم دون أن يفرض عليهم العمل فرضا ولا شك فى أن المشاركة فى الحوار أدعى للفهم واستيعاب العبرة والموعظة .

بر الوالدين فضلا وعقوقا:

فى بر الوالدين فضل كبير.. لأنه من صالح الأعمال الذى يُتوسل بها للخلاص من ضوائق الزمن وشديد المحن .. ومما يحكى فى ذلك :

حديث ابن عمر –رضى الله عنه– عن النبى – صلى الله عليه وسلم– ،قال: "خرج ثلاثة يمشون . فأصابهم المطر . فدخلوا فى غار[٢٢] فى جبل . فانحطت عليهم صخرة . قال: فقال بعضهم لبعض : ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه . فقال أحدهم : اللهم ! إنى كان لى أبوان [٢٣] ، شيخان كبيران . فكنت أخرج فأرعى ، ثم أجيء فأحلب . فأجيءبالحلاب [٢٤] ، فآتى به أَبَـوَيَّ [٢٥]، فيشربان . ثم أسقى الصبية، وأهلى وامرأتى[٢٦]. فاحتبست[٢٧] ليلة ، فجئت فإذا هما نائمان. قال:

---

[٢٢] الغار : النقب فى الجبل .

[٢٣] أبوان : أب وأم فغلب فى التثنية .

[٢٤] الحلاب : الإناء الذى يحلب فيه ، ومراده هنا اللبن المحلوب فيه.

[٢٥] أبوى: أصله ابوان لى ، فلما أضافه إلى ياء المتكلم سقطت النون وانتصب على المفعولية، قلبت ألف التثنية ياء، وأدغمت الياء فى الياء .

[٢٦] المراد بالأهل هنا الأقارب، كالأخ والأخت . فلا يكون عطف امرأتى على أهلى من عطف الشئ على نفسه.

[٢٧] احتبست : تأخرت

فكرهت أن أوقظهما ، والصبية يتضاغَوْن[٢٨] عند رِجليَّ فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر . اللهم ! إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافْرُج عنا فُرْجَة ، نرى منها السماء . قال : ففُرج عنهم .

أما الآخر فقصته أنه لم يَزْنِ بابنة عمه عندما قست عليها الظروف وَسُدَّتْ فى وجهها منافذ الارتزاق وقالت له عندما اضْطُرَّت : اتَّقِ الله ، ولا تَفُضَّ الخاتم إلا بِحَقِّهِ[٢٩] ، وأما الثالث فقد استأجر أجيراً ترك أجره فاستثمره له فى بقر كثير. ولما جاء بعد حين يطالب بأجره قدم له البقر فظن أنه يستهزىءبه ... إلى آخر ما ساقته القصة [٣٠].

أضواء حول الحديث بشقيه :

يستفاد مما ورد فى هذا الحديث :

١- التوسل بصالح الأعمال مثل : بر الوالدين ، عدم الزنا عند إتاحة الفرصة له ، وعدم أكل أجر الأجير يفك الله به الكرب.

٢- السعى فى سبيل الرزق يكفر الله به الخطايا ويجعل الله له من بعد عسر يسرا .. ويعتبر الطريق الوحيد السليم لحل مشكلة القرن : بطالة الخريجين أمام نقص السيولة العالمى.

---

[٢٨] يتضاغون : يتفاعلون ، من الضغاء وهو الصياح ببكاء.

[٢٩] أى لا تزل البكارة إلا بالنكاح الصحيح الحلال.

[٣٠] البخارى فى ٣٤ كتاب البيوع ٩٨ باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضى ، ومسلم فى ٤٨ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٧ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.

٣- النكاح الذى يرضى الله عنه ويبارك فى أطرافه هو النكاح الشـــرعى الذى يحفظ حق الزوجة وما تستكِنّه الأرحام بعد ذلك.. فَأَلا بُعْدًا للزواج العرفى لعنة هذا العصر .

وإن كانت الحكاية السابقة توضح فضل بر الوالدين . . فماذا يكون الحـــال عند عقوقهما والتراخى فى الرد عليهما ؟ هذا ما نعرضه فى القصـــة التاليـــة عـــن جُرَيْج العابد .. الذى تباطأ فى الرد على أمه وانخرط فى عبادته ظانا أن اســتغراقه فى العبادة مقدم على الاستجابة لدعاء الأم.. والقصة تقول :

من حديث أبى هريرة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، قال : "لم يتكلـم فى المهد [٣١] إلا ثلاثة : عيسى . وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج ، كـان يصلى . جاءته أمه فدعته ، فقال : أجيبها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم! لا تُمِته حتـــى تريه وجوه المومسات [٣٢] ، وكان جُريج فى صومعته [٣٣]. فتعرضت لـــه امـرأة وكلمته [٣٤]، فأبى . فأتت راعيا ، فأمكنته من نفسها [٣٥]، فولدت غلاما . فقالت: من جريج. فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه ، وسبوه ، فتوضأ وصلى . ثم أتى الغـــلام. فقال : من أبوك ياغلام ؟ قال : الراعى . قالوا : نبنى صومعتك من ذهب. قـــال : لا. إلا من طين .

---

[٣١] المهد : هو ما يهيأ للصبى أن يربى فيه.

[٣٢] المومسات : أى الزوانى البغايا المتجاهرات بذلك والواحدة مومسة وتجمع مياميس أيضاً.

[٣٣] صومعته: الصومعة نحو المنارة ، ينقطعون فيها عن الوصول إليهم والدخول عليهم.

[٣٤] وكلمته : أى أن يواقعها .

[٣٥] فأمكنته من نفسها : فواقعها فحملت منه.

وكانت امرأة ترضع ابنا لها ، من بنى إسرائيل . فمر بها رجل راكب ذو شارة . فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله . فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال : اللهم! لا تجعلنى مثله ، ثم أقبل على ثديها يمصه .

ثم مر بِأَمَةٍ . فقالت : اللهم ! لا تجعل ابنى مثل هذه . فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلنى مثلها . فقالت: لِمَ ذاك ؟ فقال : الراكب جبار من الجبابرة . وهذه الأمة، يقولون : سَرَقْتِ ، زَنَيْتِ . ولم تفعل[٣٦].

وفى حديث جريج الفوائد الآتية :

١-عظم بر الوالدين وتأكد حق الأم.

٢-دعاء الأم مجاب.

٣- إذا تعارضت الأمور بُدئ بأهمها.

٤- الله تعالى يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم بالشدائد ، غالباً. قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [٣٧]. وقد يجرى عليهم الشدائد بعض الأوقات زيادة فى أحوالهم وتهذيبا لهم ، فيكون لطفا.

٥- استحباب الوضوء للصلاة عند الدعاء بالمهمات.

٦- إثبات كرامات الأولياء ، وهو مذهب أهل السنة.

٧- كرامات الأولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم ، وهذا هو الصحيح عند المتكلمين.

---

[٣٦] أخرجه البخارى فى ٦٠ كتاب الأنبياء :٤٨ - باب "واذكر فى الكتاب مريم" ، ومسلم فى ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ، ٢ باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

[٣٧] سورة الطلاق : الآية ٢.

تراجم الرواة

عبد الله بن مسعود :

ابن غافل بن حبيب : فقيه الأمة ، أبو عبد الرحمن الهذلى ، المكى المهاجرى ، البدرى ، حليف بنى زهرة من السابقين الأولين للاسلام ، ومن النجباء العالمين، العاملين، شهد بدراً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولازم النبى – صلى الله عليه وسلم– كثيراً وكان صاحب نَعْلَيْهُ ، وكان أحد المقرئين لكتاب الله تعالى. قال –صلى الله عليه وسلم– : من سَرَّه أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنْزِلَ فليسمعه من ابن مسعود [٣٨] ، وأخذ القراءة عنه : أبو عبد الرحمن السلمى ،وعبيد بن نضلة... وطائفة . وكان ممن أحاط بأسباب نزول القرآن ، وبمعانية حيث قال: والذى لا إله غيره لقد قرأت من "فِي" رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضعا وسبعين سورة ، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منى تبلغه الإبل لأَتَيته . وما نزلت آية من كتاب الله إلا ويعلم أين نزلت، وفيما نزلت .

وروى عنه : ابناه ، عبد الرحمن ، وأبو عبيده ، وابن أخيه عبد الله بن عتبة وامرأته (زينب الثقفية).

ومن الصحابة : العبادلة (أبو موسى ، وأبو رافع ، وأبو شريح)، وجابر وأنس وأبو أمامة ، وأبو الطفيل.

ومن التابعين : علقمة ، وأبو الأسود ، ومسروق ، والربيع بن خيثم ، وزيد ابن وهب ... وغيرهم .

---

[٣٨] أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤/٢٧٨-٢٧٩.

ويبلغ مسنده : [بالمكرر] ٨٤٠ حديثاً . اتفقا له فى الصحيحين علـــى ٦٤ ، وانفرد البخارى بإخراج ٢١ حديثاً ، ومسلم بإخراج ٣٥ حديثاً.

وتوفى : بالمدينة سنة ٣٢هـــ.

أسماء بنت أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة –رضى الله عنها –:

أم عبد الله القرشية ، التَّيْمِيَّة ، المكية ، ثم المدنِيَّة .

واسم أبى بكر : عبد الله بن عثمان ، وهى زوج الزبير بن العوام، وأم عبــد الله بن الزبير ، وهى ذات النطاقين ، وأمها قيلة ، وقيل : قتيلة، بنت عبد العزى بـن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى . وكانت أسنّ من عائشـــة ، وهى أختها لأبيها وكان عبد الله بن أبى بكر أخا أسماء شقيقتها .

وقيل لها ذات النِّطاقَيْن لأنها صنعت للنبى – صلى الله عليه وسلم – ولأبيها سفرة [٣٩] لما هاجر ، فلم تجد ما تشدها به ، فشدت نطاقها وشــدّت الســفرة بـــه ، فسماها رسول الله – صلى الله عليه وسمل – ذات النطاقين . ثم إن الزبـــير طلّقـــها فكانت عند ابنها عبد الله ، وقد اختلفوا فى سبب طلاقها ، فقيل : إن عبـــد الله قـــال لأبيه: مثلى لا توطأ أمه ! فطلقها . وقيل : كانت قد أَسَنَّت وولدت للزبير عبــد الله ، وعروة ، والمنذر . وقيل إن الزبير ضربها فصاحت بابنها عبد الله ، فأَقْبل إليها، فلما رآه أبوه قال : أمك طالق إن دخلتَ . فقال عبد الله : أتجعل أُمى عرضة ليمينـــك؟! فدخل فخلّصها منه، فبانت منه.

---

[٣٩] السفرة : طعام المسافر .

روى عنها عبد الله بن عباس ، وابنها عروة ، وعباد بن عبد الله بن الزبير، وأبو بكر وعامر ابنا عبد الله بن الزبير ، والمطلب بن حنْطب ، ومحمد بن المنكدر، وفاطمه بنت المنذر ، وغيرهم .

أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب ، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن على بن يوسف المقرى – المعروف بابن الأخن – حدثنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس ، أخبرنا أبو القاسم ابن بنت منيع : وحدثنا أبو الجهم المقرى، حدثنا ابن عيينة ، جميعا عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أمه – وهى أسماء – قالت : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلت : أتتنى أمي وهى راغبة – وهى مشركة – فى عهد قريش ، أفأصلها ؟ قال: نعم [٤٠].

ثم إن أسماء عاشت وطال عمرها وعَمِيَت ، وبقيت إلى أن قتل ابنها عبد الله سنة ثلاث وسبعين، وعاشت بعد قتله قيل : عشرة أيام ، وقيل : عشرون يوماً. وقيل: بضع وعشرون يوما حتى أتى جواب عبد الملك بن مروان بإنزال عبد الله ابنها من الخشبة، وماتت ولها مائة سنة ، وخبرها مع ابنها لما استشارها فى قبول الأمان لما حصره الحجاج يدل على عقل كبير ودين متين وقلب صبور قوى على احتمال الشدائد.

واتفق لها البخارى ومسلم على ١٣ حديثا ، وانفرد البخارى بـ ٥ أحاديث ، ومسلم بـ ٤ أحاديث .

وتوفيت بمكة سنة ٧٣هـ.

---

[٤٠] أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦/٣٤٤.

عبد الله بن عمر بن الخطاب :

ابن نفيل القرشي ، العدوى .

أمه : زينب بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون . أسلم مع أبيـه وهـو صغير ، وهاجر ، وعرض على النبى – صلى الله عليه وسلم – فـى بـدر وأحـد فاستصغره ، وأجازه يوم الخندق وكان عمره خمسة عشر عامـا كمـا ثبـت فـى الصحيح ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، ثم قدم الشـام ، والعـراق ، والبصـرة وفارس غازيا. وهو الذى قال عنه النبى – صلى الله عليه وسلم– : نعم الرجل عبـد الله لو كان يصلى من الليل ، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا.

روى علما كثيرا نافعا عن : النبى –صلى الله عليه وسلم – وعن أبيه، وأبى بكر وعثمان وعلى ، وبلال وصهيب وعامر بن ربيعة وزيد بن ثابت وزيد عمـه، وسعد وابن مسعود ، وعثمان بن طلحة .

وروى عنه خلق كثير منهم : آدم بن على ، وأسلم مولى أبيه وأميـة بـن عبد الرحمن الآموى ، والحسن البصرى ، والحسن بن سهيل ، وخالد بن كيسـان ، وعبد الله بن دينا.

وبلغ مسنده : ٢٦٣٠حديثا [بالمكرر] واتفقا له على ١٨٦ حديثـا وأنفـرد البخارى بـ٨١ حديثا ، ومسلم بـ٣١ حديثا.

وتوفى : سنة ٧٣هـ عن أربع وثمانين عاما.





الصبــــر

اللغويات :

صبر : فى أسماء الله تعالى : الصبور تعالى وتقدس ، هو الذى لا يُعـاجِل العصاة بالانتقام ، وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من معنى الحليم ، والفـرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم.

ابن سيده : صبره عن الشئ‌يصبره صبرا حبسه ، قال الحطيئة:

قلت: لها اصبرها جاهدا ∴ وَيْحك ، أمثال طَرِيفٍ قليل!

والصبر : نصب الإنسان للقتل، فهو مصبور، وصبر الانسان على القتـل : نَصْبه عليه.

يقال : قتله صَبْرا، وقد صبره عليه .وقد نهى رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – أن تُصْبَرَ الروح . ورجل صَبُورة بالهاء : مصبور للقتل، حكاه ثعلب، وفـى حديث النبى – صلى الله عليه وسلم– : أنه نهى عن قتل شئ من الدواب صبرا.

وأصل الصبر الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره ، ومنه الحديث : نهى عن المصبورة ونهى عن صبر ذى الروح ، والمصبورة التى نـهى عنـها : هـى المحبوسة عن الموت ، وكل ذى روح يصير حيا ثم يرمى حتى يقتل ، فقـد قتـل صبرا . وفى الحديث الآخر فى رجل أمسك رجلا وقتله آخر فقال: اقتلـوا القـاتل وَاصْبِروا الصابر، يعنى احبسوا الذى حبسه الموت حتى يموت كفعله به، ومنه قيـل للرجل يقدّم فيضرب عنقه قُتل صبرا ، يعنى أنه أُمسك على الموت ، وكذلـك لـو حبس رجل نفسه على شيء يريده ، قال : صَبَرْت نفسى نفسى ، قال عنترة يذكـر حربا كان فيها :

فَصَبَرْتُ عارِفةً لذلك حُرَّةً ∴ تَرْسُو ، إذا نفس الجبان تَطَلَّعُ

والصبر نقيض الجزع، صبر يصْبِر صبرا ، فهو صابر وصبّار وصبير وصبور .

والأنثى صبور أيضاً بغير هاء ، وجمعه صُبُر . الجوهرى : الصبر حبس النفس عند الجزع ، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا، وصبَرْته أنا : حبسته .قال الله تعالى :﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [1]. والتصبر : تكلف الصبر ، وقوله أنشده ابن الأعرابى :

أرى أُمَّ زيد كلما جَنَّ ليلُها ∴ تُبَكِّى على زيد ، وليست بأصبرا

أراد : وليست بأصبر من ابنها ، بل ابنها أصبر منها لأنه عاق والعاق أصبر من أبويه ، وتصبر واصطبر : جعل له صبرا ، وتقول : اصْطبرت ولا تقول اطبرت لأن الصاد لا تدغم فى الطاء، فإذا أردت الإدغام قلبت الطاء صادا وقلت اصّبرت ، وفى الحديث عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى قال:﴿ إنى أنا الصبور ﴾ : قال أبو اسحاق الصبور فى صفة الله عز وجل الحليم.

وفى الحديث لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل ، أى أشد حلما على فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه ، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].معناه : وتواصوا بالصبر على طاعة الله والصبر على الدخول فى معاصيه. والصبر : الجراءة .

---

[1] سورة الكهف: الآية٢٨.

[2] سورة العصر: الآية٣.

ومنه قول الله عز وجل :﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[٣]. أى مـــا أجرأهـــم على أعمال أهل النار. قال أبو عمرو : سألت الحليحى عن الصبر فقـــال: ثلاثـــة أنواع : الصبر على طاعة الجبار، والصبر على معاصى الجبار ، والصبر علـــى الصبر على طاعته وترك معصيته.

وقال ابن الأعرابى : قال عمر : أفضل الصبر التصبر .وقولـه:﴿ فصـــبر جميل ﴾[٤]. وقوله عز وجل :﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [٥]. أى اصبروا واثبتوا علـــى دينكم ، وصابروا أى صابروا أعداءكم فى الجهاد . وقوله عز وجـل:﴿ اسْـــتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ [٦]. أى بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان. وشـــهر الصـــبر : شـــهر الصوم. وفى حديث الصوم : صُم شهر الصبر ، وهو شهر رمضان.

فضيلة الصبر:

وصف الله تعالى الصابرين فى نيف وسبعين موضعاً [٧] بأوصاف. وأضاف أكثر الدرجات وعظيم الخيرات إلى الصبر كثمرة مهداة له ، فقال تعالى::﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [٨].

---

[٣] سورة البقرة : الآية١٧٥.

[٤] سورة يوسف : الآية١٨.

[٥] سورة آل عمران : الآية٢٠٠.

[٦] سورة البقرة: الآية١٥٣.

[٧] إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ، جـ٤ ، ص٦٠.

[٨] سورة السجدة: الآية٢٤.

كما قال سبحانه وتعالى :﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٩]. وقال تقدست أسماؤه:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١٠].

ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر ، قال تعالى فى حديث قدسى : (**الصوم لى وأنا أجزى به**) فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ، ووعد الصابرين بأنه معهم بقوله تعالى فى كتابه العزيز:﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [١١]. كما علّق النصر على الصبر فى قوله تعالى:﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[١٢].

المؤمن صبور على الشدائد:

الصبر من أخلاق المسلم ووسائله فى الحياة .. فقال تعالى:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [١٣]. وقال الله تعالى :﴿..وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [١٤].

---

[٩] سورة النحل : الآية٩٦.

[١٠] سورة الزمر: الآية١٠.

[١١] سورة الأنفال: الآية٤٦.

[١٢] سورة آل عمران: الآية١٢٥.

[١٣] سورة البقرة : الآية٤٥.

[١٤] سورة البقرة : الآية١٧٧.

والصبر من دلائل صدق الإيمان ، حيث لا يصبر لحكم الله إلا مؤمن به مقدر لحكمته مبتغ لثوابه فى الدنيا والآخرة [١٥].

قال رب العزة : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [١٦].

والمسلم يعلم أن الصبر ضرورة فى هذه الدنيا . حيث الدنيا ميدان فسيح تتعاقب عليه الأجيال ، وتختلف عليه الأمم وتواجههم طبيعة الحياة ،ولا يزال هذا الميزان يتلقى أجيال الناس بطبيعة لا تتغير وحقيقة لا تتبدل .

وقد أشار الله إلى هذا المعنى بقوله :﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [١٧].

الهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين: [١٨]

يقول الله تعالى :﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [١٩].

---

[١٥] كتاب شخصية المسلم كما يصورها القرآن ، مصطفى عبد الواحد ، طـ ثانية١٩٦٨م، مطبعة دار التأليف بمصر.

[١٦] سورة الشورى: الآية٤٣.

[١٧] سورة آل عمران: الآية١٨٦.

[١٨] إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ، جـ٤ ص٦١.

[١٩] سورة البقرة: الآية١٥٧.

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : " الصبر نصف الإيمان" [٢٠].

ولئن كان كل إنسان يحب أن تسير الأمور على هواه فإن القدر لــــه خطــة محكمة ونهج مرسوم . لذلك فليس للإنسان إلا أن يتقبل الأحداث ويواجـــه الواقــع بتسليم فذلك خير له فى الدنيا والآخرة [٢١].

أما الجزع والسخط فإنه يضيع عليه راحة الدنيا وثواب الآخرة.

والمسلم يتيقن أن قوة الله لا تقهر وإرادته لا تغلب ومشيئته لا ترد

لذا فرحمته تطاف للمؤمنين المهتدين .. وانظر فى ذلـــك قولـــه تعـــالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [٢٢].

وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – : أوحـــى الله إلـــى داود – عليـــه السلام– تخلّق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور .

وفى حديث عطاء عن ابن عباس : لما دخل رسول الله –صلى الله عليـــه وسلم– على الأنصار قال :" أمومنون أنتم ؟ " فسكتوا . فقال عمر : نعم يارســـول الله. قال : وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نشكر على الرخاء ، ونصبر على البـــلاء ،

---

[٢٠] تكملة الحديث " واليقين الإيمان كله " لأبى نعيم فى الحِلية والبيهقى فى شعب الإيمان – عـــن ابن مسعود ، وقال مصطفى محمد عمارة فى مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى ،جـــ٢ ص٨٠ (حديث ضعيف).

[٢١] كتاب شخصية المسلم كما يصورها القرآن.

[٢٢] سورة البقرة : الآيات ١٥٥–١٥٧.

ونرضى بالقضاء . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : " مؤمنون ورب الكعبة" [٢٣].

أضراب الصبر :

هذا وللصبر أضراب حسب اعتبارات مختلفة . فمثلاً :

*** الصبر باعتبار اليسر والعسر [٢٤].**

وهو ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بالجهد وتحمل المشاق أو ما يحصل بدون مشقة ولكن بأدنى تحامل على النفس ، وهذا ما يسمى بالصبر، أما ما يحصل بالجهد والمشقة ودوام ذلك فيسمى تصبرا.

- **متى يتيسر للإنسان الصبر ؟**

يتيسر للإنسان الصبر ويفوز بثوابه وعلو منزلته وحسن عاقبته إذا دامت التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى – تيسير الصبر .والدليل على ذلك قول الله تعالى فى كتابه المجيد :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [٢٥].

*** درجات الصبر ومراتب الصابرين:**

- درجة التائبين بكبح جماح الشهوة .
- درجة الزاهدين بالرضا بالقضاء والقدر.
- درجة الصِّدِّيقين بالمحبة لما أمر به المولى.

---

[٢٣] إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ، جـ٤ ص٦٣.

[٢٤] إحياء علوم الدين ٤/٧١.

[٢٥] سورة الليل : الآيات ٥ ، ٦ ، ٧.

- **الصبر باعتبار حكمه ؟**

أما لو انتقلنا إلى الصبر باعتبار حكمه لتعرفنا على الأنواع الخمسة الآتية: واجب ، مندوب ، محظور محرم،مكــروه ، مبــاح . ويتبيــن ذلــك مــن العرض الآتى :

– الصبر الواجب :

كالصبر عن المحرمات والصبر على أداء الواجب والصبر على المصائب.

– الصبر المندوب :

كالصبر على المكروهات ،والصبر على المستحبات ، والصبر عن مقابلـــة الجانى بمثل فعله .

– الصبر المحظور :

هو الصبر على الطعام والشراب حتى يموت الانسان ، والصوم عن الميتــة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار إذا خاف بتركه الموت ، وكذلك الصبر على ما يقصد هلاكه من سَبُع أو حية أو حريق أو كافر يريد قتله بخلاف ما إذا كـــان فـــى الفتنة أو القتال فهو حينئذ مباح بل ومستحب [٢٦].

– الصبر المكروه :

وهو على وجه خلاف الصبر الواجـــب كتنـــاول المحرمـــات والمداومـــة عليها..والابتعاد عن أداء الواجب ، وعدم الصبر على المصائب.

---

[٢٦] البحر الرائق – أحمد فريد – بتصرف.

- الصبر المباح :

وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خُيّر بين فِعله وتركِـه والصـبر عليه [٢٧].

ضرورة الصبر للانسان المسلم :

الصبر ضرورة محتومة لا يستغنى عنه الإنسان المسلم .. وقد تعجب النبى -صلى الله عليه وسلم- من أمر المؤمن حيث يثاب عند الشكر على السَّرَّاء كما يثاب أيضاً عن الصبر على الضَّرَّاء.. فقد حدث هداب بن خالد الأَزْدِى وشيبان بن فروخ جميعا عن سليمان بن المغيرة (واللفظ لشيبان) حدثنا سليمان حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب بن سنان قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "عجبا لأمر المؤمن إنّ أَمْرَه كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" [٢٨].

هذا ولا يخلو جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة من الحالتين الآتيتين :

الأولى:

ما يوافق هواه كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة والأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا . فما أحوج العبد فى هذه الأمور إلى الصبر .

الثانية:

ما يخالف هوى العبد وطبعه ، وهذا النوع من الصبر لا يخلو من أن يرتبط باختيار العبد كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار فى إزالته كالتشفى من المؤذى بالانتقام منه .

---

[٢٧] إحياء علوم الدين ٤/٧٢.

[٢٨] رواه مسلم فى ٥٣ كتاب الزهد والرقائق ١٣ باب المؤمن أمره كله خير ، ح ٢٩٩٩.

والعبد محتاج إلى النوعين السابقين من الصبر فى جميع الأحوال ومفتقر إليهما.

الصبر على الطاعات :

ومن أنواع الصبر : الصبر على الطاعات ، بمعنى المداومة على تحمل أى طاعة امتثالا لأوامر الله تعالى مهما كلف ذلك الإنسان المسلم من مشقة كالصوم والصلاة والزكاة والحج وغيرها حيث أنه مطالب بالصبر على الطاعات وترويض النفس والبدن على إطاعة أمر ربه ، ذلك لأن العبودية ليست بالأمر الهين على نفس الإنسان .

ويقول الله تعالى :﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [٢٩].

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قدم الصبر على العمل الصالح فى قوله تعالى:﴿ **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [٣٠].

استعراض عوامل الصبر والثبات من خلال سيرة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- :

يقول ابن إسحاق [٣١]. لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأذى ما لم تقم به فى حياة أبى طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا . فقامت إليه إحدى بناته، وجعلت تمسح عنه التراب وتغسله وهى تبكى . ورسول الله – صلى الله عليه وسلم- لا تبكِ يابنية فإن

---

[٢٩] سورة البينة : الآية ٥.

[٣٠] سورة هود : الآية ١١.

[٣١] السيرة النبوية لابن هشام ٤١٦/١.

الله مانع أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئا أكرهه – حتى مات أبو طالب.

وقد يتساءل سائل : كيف صبر النبى – صلى الله عليه وسلم– والذين معه على الاضطهادات المتتالية ؟ فنقدم الإجابة التالية (٣٢).

١- الإيمان بالله ومعرفته حق المعرفة .وصاحِب هذا الإيمان الجازم واليقين الصادق يرى متاعب الدنيا مهما كثرت وكبرت واشتدت جنب إيمانه – مجرد طحالب عائمة فوق سيل جارف . قال تعالى :﴿..**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً . وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ** ﴾ (٣٣).

٢- كانت قيادة النبى – صلى الله عليه وسلم– تهوى اليها الأفئدة كقائد أعلى للأمة الإسلامية وللبشرية جمعاء لما يتمتع به من جمال خلق، وكمال نفس ومكارم أخلاق، وشيم نبيله.

٣-الشعور بالمسئولية . فكان الصحابة يشعرون تماما ما على كواهل البشر من مسئولية ضخمة لا يمكن التخلى عنها وإلا منيت البشرية جمعاء بخسائر وكوارث مهلكة.

٤- الإيمان بالآخرة مما كان يقوى هذا الشعور بالمسئولية فقد كان المسلمون يقضون حياتهم بين الخوف والرجاء . يرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه. قال تعالى:﴿ .. **يُؤْتُونَ مَاءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ**

---

(٣٢) الرحيق المختوم للمباركفورى ١١٨-١٢١ بتصرف.

(٣٣) سورة الرعد : الآية١٧.

إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [٣٤]. فالدنيا عندهم بعذابها ونعيمها لا تساوى جناح بعوضة .

٥- القرآن : فى هذه الفترة العصيبة الرهيبة كانت تنزل السور والآيات تقيم الحجج والبراهين على مبادئ الإسلام التى كانت الدعوى تدور حولها بأساليب ممتعة خلابة ترشد المسلمين إلى أسس قدرة الله وتثير مشاعرهم ونوازعهم على الصبر والتجلد . قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [٣٥]. كما قال تعالى :﴿ الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٣٦].

٦- صدق النبى -صلى الله عليه وسلم- فيما حدث به عن ربه : فقد حدث العالم الكبير د. زغلول النجار بالحديث الآتى : إن بيان أوجه الإعجاز العلمى للقرآن الكريم يلقى الاحترام والإجلال من العلماء فى العالم كله ، ففى أحد المؤتمرات التى عقدناها فى العاصمة الروسية (موسكو) وقف أحد العلماء الروس وقال : لقد كنت أحسب أننى واحد من كبار العلماء فى مجال تخصصى لولا أن وجدت علما يفوق كل

---

[٣٤] سورة المؤمنون: الآية٦٠.

[٣٥] سورة البقرة : الآية٢١٤.

[٣٦] سورة العنكبوت: الآية٢.

علم، فلا يسعنى أمام ذلك إلا أن **أشهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــدا رسول الله** . وتبعه أربعة مترجمين أشهروا إسلامهم أيضا (٣٧).

٧- البشارات بالنجاح : حكى القرآن الكريم قصص الأنبيـــاء ، ومـــا دار بينهم وبين أقوامهم الذين قاموا بتكذيبهم والكفر بـــهم ، وكـــانت آيـــات القرآن تشتمل على الأحوال التى تطابق تماما أحوال مسلمى مكة ، ثـــم تذكر هذه الآيات ما تمخضت عنه تلك الأحوال مـــن إهـــلاك للكفـــرة والظالمين ووراثة عباد الله الأرض والديار. فكانت هذه الآيات إشـارات واضحة إلى فشل أهل مكة فى المستقبل ونجاح المسلمين مـــع نجـــاح الدعوة الإسلامية. وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَـــا الْمُرْسَلِينَ۝إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ۝وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ (٣٨).

الصبر يحقق ما يصبو إليه المسلم :

قال خباب بن الأرتّ (٣٩) : أتيت النبى – صلى الله عليه وسلم– وهو متوسد برده ، وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعـــو الله ، فقعد وهو مُحمّر وجهه ، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشـــاط الحديـــد مـــا دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله (٤٠).

---

(٣٧) جريدة اللواء الإسلامى عدد ١٠٠٣ بتاريخ ١٨ محرم ١٤٢٢هـــ ١٢ أبريل ٢٠٠١م ص٤.
(٣٨) سورة الصافات : الآيات ١٧١ ، ١٧٢، ١٧٣.
(٣٩) له ترجمة فى آخر موضوع الصبر.
(٤٠) صحيح البخارى ٥٤٣/١.

أضواء حول الحديث :

(متوسد برده) : أى متخذا إياه كالوسادة .

(لقينا من المشركين شدة): تعذيبا وتنكيلاً.

(يمشط بمشاط الحديد) : يفصل لحمه عن عظامه وأعصابه وهذا كناية عــن شدة التعذيب والتنكيل وقسوة الاضطهاد .

(ما يصرفه عن ذلك): أى ما يمنعه التنكيل والتعذيب والارهاب بما يلاقيــه من مصير إن هو لم يرجع عن دينه وعقديته بأن تستخدم معـــــه تلــك الوســائل ، وتوحى هذه الجملة بالثبات والصبر على الحق .

(وليتمن الله هذا الأمر) : أى انتصار الدين الاسلامى وفوز المسلمين.

(حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت): بشــــارة بمــا ســيتحقق للمسلمين من أمن وأمان ماداموا على الحق ينتصرون له ابتغــاء مرضـــاة الله مــا يخافون إلا الله سبحانه كناية عن ما بثه الله فى قلوب المؤمنين من رباطـــة الجــأش وقوة القلب بسبب هذا الفيض من الإيمان الصادق بالله والتضحية مــن أجــل دينــه عز وجل.

ويتضمن هذا الحديث البشارة بالفوز وتمام الأمر للدعوة الإسلامية حيـــث سيقوى المسلمون وتتسع رقعة بلاد الإسلام وتكثر الفتوح وستكون للمسلمين الغلبــة بفضل تأييد الله لهم ونصره إياهم لأنهم نصروه وتجشــموا المصـــاعب والمتــاعب وتحملوا العذاب صابرين ثابتين على الحق غير آبهين للمطاردة والملاحقة وســفاهة أقوامهم وطيشهم فكان حقا على الله أن يربط على قلوب المؤمنين فأضحوا بنعمة من

الله وفضله لا يخشون أى قوة غير قوة ربهم ، ولا يرهبهم جبروت إلا جبروت خالق كل شئ .. الله الجبار المتعال.

إن اليوم لأشد شبها بالبارحة ، فما من رسول إلا وقد انقسم الناس حوله ، فمنهم المؤيد والمعارض ، ومنهم من استجاب للدعوة وأيد الرسول ، ومنهم من عصى وأذاه – صلى الله عليه وسلم – والذين معه .

وتستمر أحداث الصراع وتشتد المعارضة لاختلاف العقائد وتحتدم المعارك، ويقف فريق مع الداعى يؤيدونه ويذبون عنه لا ترهبهم قوة ما كانت ولا يثنيهم عن عقيدتهم قتل أو تعذيب أو تنكيل ، إنما كان هذا منهم احتسابا لعظيم ثواب الله فى الآخرة ، ولقد رضى الله عن الصابرين المجاهدين فى سبيل الحق ، ومن أجل الدعوة ووعدهم بأعظم الجزاء جنات خلد.

ولقد صدق الله وعده وصدق رسوله الكريم ، وتحقق ما وعد به رب العزة من الغلبة للدين والفلاح للمسلمين.

وهذا الحديث يوجه المسلم إلى ما يلى :

١- الصبر على البلايا والامتثال لأوامر الله عز وجل واجب على كل مسلم وهو من تمام الإيمان وكماله .

٢- يؤيد الله بنصره من هم على الحق.

٣- البشارات فى القرآن الكريم سبب حفز المسلمين على الثبات والصبر والتحمل لإيذاء الكفار والمنافقين وأعداء الحق.

٤- أن الصراع بين بنى الإنسان ، بين الشر والخير، بين الحق والباطل، مستمر على مدى حِقَب التاريخ ، والبشرى بالغلبة والنصر لأهل الحق والخذلان للباطل وأهله.

٥- أيد الله المؤمنين بالنصر ، وفتح لهم البلاد ، وبشرهم بالجنة لدفاعـــهم عن العقيدة وتضحياتهم النفيسة من أجلها.

تراجم الرواة

خباب بن الأرت:

ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب ، أبو يحيى التميمى ، وكنيتـــه أبـــو عبد الله. شهد بدرا ، والمشاهد كلها ، وكان أول من أظـــهر إســـلامه مـــن نجبـــاء السابقين، المستضعفين ، وعذب فى سبيل الله كثيرا . وقـــال خبـــاب : كنـــت قينـــا [أى: حدّادا] بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أُتقاضاه فقـــال: لا أعطيـــك حتى تكفر بمحمد ، فقلت لا أكفر بمحمد – صلى الله عليه وسلم- حتى تمـــوت ثـــم تبعث . فقال : إذا بعثت كان لى مال فسوف أقضيك ، فقلت ذلك لرسول الله –صلـــى الله عليه وسلم – فأنزلت:﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا ... ﴾ [٤١].

وروى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – عدة أحاديث .

حدث عنه مسروق ، وأبـــو وائـــل ، وأبـــو معمـــر ، وقيـــس بـــن أبـــى حازم....وآخرون.

وبلغت أحاديثه [بالمكرر] ٣٢ حديثا ، منها ٣ فى الصحيحيـــن ، وانفـــرد البخارى بحديثين ومسلم بحديث واحد .

وتُوُفِّى : بالكوفة سنة ٣٧هـــ. وصلـــى عليـــه علِـــىّ بـــن أبـــى طـــالب –رضى الله عنه–.

---

[٤١] سورة مريم: الآية٧٨.


الإستئذان



الإستئذان

اللغويات :

أذِن بالشىء، إذنا وأَذَنا وأَذَانَةً : عَلِم . وفى التنزيل العزيز:﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [١]. أى كونوا على علم ، وآذنه الأمر وآذنه به : أعلمه ، وقد قرئ :فآذنوا بحرب من الله ، معناه أى أَعلِموا كل من لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله ، ويقال : قد آذنْتُه بكذا وكذا أُوذنه إيذانا وإذنا إذا أعلَمْتُه ، ومن قرأ فأْذَنوا أى فانصتوا . ويقال : أذِنْتُ لفلان فى أمر كذا وكذا آذَنُ لـه إذْنا ، بكسر الهمزة وجزم الذال ، واستأذنتُ فلانا استئذانا . وأَذَّنْتُ : أكثرت الإعلام بالشىء.

وأذِن به إذنا : علِم به . وحكى أبو عبيد عن الأصمعى : كونوا على إذنه أى على علم به. ويقال : أذِنَ فلانٌ يأذن به إذنا إذا علم . وقوله عز وجل :﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ ﴾ [٢]. أى إعلام ، والأذان :اسم يقوم مقام الإيذان ، وهو المصدر الحقيقى . وقوله عز وجل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[٣]. معناه : وإذا علم ربكم ، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [٤]. معناه بعلم الله ، والإذن ههنا لا يكون إلا من الله ، لأن الله تعالى وتقدس لا يأمرنا بالفحشاء من السحر وما شاكله .ويقال : فعلت كذا وكذا بإذنه أى فعلت بعلمه ، و يكون بإذنه بأمره.

والأَذِين : الكفيل . وروى أبو عبيدة بيت امرىءالقيس

---

[١] سورة البقرة : الآية٢٧٩.

[٢] سورة التوبة : الآية٣.

[٣] سورة إبراهيم: الآية٧.

[٤] سورة البقرة : الآية١٠٢.

وإني أَذِينٌ ، إن رجعت مُمَلَّكًا ∴ بِسَير ترى فيه الفُرَانِق أَزْوَرا

وقال: أَذِينٌ أى زعيم . وفعلته بإذني وأَذَني أى بعلمي . وأذن له في الشيء إذنا : أباحه له . واستأذنه : طلب منه الإذن. وأذِنَ له عليه: أخذ له منه الإذن. يقال: ائذن لي على الأمير، وقال الأغرّ بن عبد الله بن الحرث.

وإني إذا ضَنّ الأمير بإذنه ∴ على الإذن من نفسي ، إذا شئت،قادرُ

وقول الشاعر:
قلت لِبوّاب لديه دارُهـــا ∴ تِيذَنْ ، فإني حَمْـؤها وجارُهـــا

قال أبو جعفر : أراد لتأذن ، وجائز في الشعر حذف اللام وكسر التاء على لغة مَن يقولُ أنتَ تعلم .

وأذن له إذنا : استمع ، وقال قَعْنَبُ بنُ أُمّ صاحبٍ:

إن يسمعوا رِيبَةً طاروا بها فرحا ∴ مِنّي ، وما سمِعوا من صالِحٍ دفنوا
صُمٌّ إذا سمِعوا خيرا ذُكِرْتُ بــه ∴ وإِنْ ذُكِرتُ بِشَرٍّ عندَهم أذِنـــوا

قال ابن سيده : وأذن إليه أَذَناً استمع . وفي الحديث : " ما أذِن الله لشـيء كأَذَنِه لنبي يتغنى بالقرآن".

قال أبو عبيد : يعني ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بـالقرآن أى يتلوه يجهر به . قال : أَذِنْتُ للشيء آذَنُ له أَذَنًا إذا استمعتَ له ، قال عدى :

أيهـــا القلبُ تعلل بِـــدَدَنْ ∴ إن هَمّي في سماعٍ وأَذَن

وقوله عز وجل :﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [٥]. أى استمعت . وأذِنَ إليه أَذَناً: استمع إليه مُعجبا، وأنشد ابن برى لعمرو بن الأهْيَم :

فلما أن تسايرنا قليلاً ∴ أذِنّ إلى الحديث ، فَهُنَّ صُورُ

وقال عدىّ :

فى سماع يأذَن الشيخ لـه ∴ وحديثٍ مثل ما ذِىٍّ مُشار [٦].

أهمية الاستئذان :

يحرص الإسلام دائماً على إيجاد علاقات طيبة بين أفراد المجتمع كما يحرص على استئصال الأسباب التى تفسد هذه العلاقات

ونحن نعلم أن هناك بعض العادات والآداب الاجتماعية تكون طريقاً طيباً لإيجاد علاقات طيبة بين الناس ، ومنها آداب الزيارة .

آداب الزيارة :

آداب الزيارة سمة من سمات الأخلاق الطيبة وضرورة اجتماعية لا غنى للفرد المسلم عنها ، لذا وضح القرآن الكريم قواعدها فى قوله تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [٧].

---

[٥] سورة الإنشقاق: الآية٢.

[٦] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور ، تقديم عبد الله العلايلى ، إعداد وتصنيف يوسف خياط- المجلد الأول- ص٣٩ ، ٤٠.

[٧] سورة النور: الآيتان ٢٨،٢٧.

والآية الكريمة الأولى تقول : **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا ليست لكم** إلا بعد أن تطلبوا الإذن من ساكنيها ويسمح لكم بالدخول ، وبعد أن تلقوا تحية السلام على ساكنيها ذلك الاستئذان والسلام خير لكم من الدخول بدونهما ، وشرعه الله لكم لتتعظوا وتعملوا به.

وتقول الثانية : فإن لم تجدوا فى هذه البيوت أحدا يأذن لكم ، فلا تدخلوا حتى يجيء من يسمح لكم به . وإن لم يسمح لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا ، ولا تلحوا فى طلب السماح بالدخول، فإن الرجوع أكرم بكم وأطهر لنفوسكم ، والله مطلع على كل أحوالكم ومجازيكم عليها فلا تخالفوا إرشاداته [٨].

لم أُمِرنا بالاستئذان ؟

جعل الله تعالى البيوت سكنا يفيء إليها الناس فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم . والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرما آمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم وفى الوقت الذى يريدون وعلى الحالة التى يحبون أن يلقوا عليها الناس.

لذلك أمرنا الله تعالى بالاستئذان عند دخول بيوت غيرنا ، وليس الأمر بالاستئذان مقتصراً على دخول المرء فى دار غيره، بل الأمر أيضاً عندما يريد المرء أن يدخل بيت بعض أقاربه الأقربين حتى لو كان بيتا ليس فيه إلا أمه وإخوته.

---

[٨] المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – لجنة القرآن والسنة ، ط١٢ – ربيع ثان١٤٠٦هـ يناير ١٩٨٦،ص٥٢١.

فعن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى -صلى الله عليه وسلم- : أأستأذن على أمى ؟ قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال الرجل : إنها ليس لها خادم غيرى . أفاستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أتحب أن تراها عريانة ؟ قال الرجل : لا ، قال الرسول – صلى الله عليه وسلم- فاستأذن عليها [٩].

ومن آداب الزيارة ألا يلح الزائر فى الاستئذان أو يلتزم باب الدار إن لم يجد الإذن من صاحبها أو إن أبى مقابلته أن يرجع دون أن يكون فى نفسه كراهية لصاحب البيت ، لأن من حق كل إنسان أن يمتنع عن مقابلة من يشاء إذا كانت ظروفه لا تسمح بمقابلته أو يعتذر إليه إن كان مشتغلاً بأمر يمنعه من الفراغ لمقابلته.

وقد جعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم- حق الخلوة للإنسان حقا عام فلا يجوز لأحد أن يقرأ رسالة الآخر بدون إذنه وهذا التصرف يحقق العلاقات الطيبة بين الأفراد.

ومما هو جدير بالذكر أن الأسواق – على اختلاف أحجامها ومسمياتها تُقتحم وتُدخل بدون إذن أو بلا استئذان ، كذا المحال العامة كالمستشفيات ودور العبادة ومحطات وسائل النقل والمواصلات وإن كان يستحب السلام . وكذا الحدائق

---

[٩] الأدب المفرد للإمام البخارى . ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ،ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص٢٥٢، ح١٠٦٣، ١٠٦٤، ومالك فى الموطأ ٥٤ كتاب الاستئذان ، ١ باب الاستئذان . وقال أبو عمر : مرسل صحيح . ولا أعلمه (المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى المصحح والمرقم والمخرج والمعلق عليه) يستند من وجه صحيح ولا صالح -ص ٧٣٤ ط٢ دار الحديث بمصر ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. وانظر الطبرى جـ١٨ ص١١٢.

والمنتزهات العامة ، لكن لا بد من اتباع القواعد التى يرتضيها القائمون عليـــها وأن يسلك الإنسان مسلك المؤمن التقى فلا يفسد شيئا، وإن كانت ثمة حراسة أو حجابـــة فلا بد من الاستئذان حتى وإن كانت المرافق العامة يقوم الإنسان بزيارتها أو قضـاء بعض حاجاته .

حرمة التلصص على بيوت الآخرين :

ولأن البيوت حرمات فإن الدين الإسلامى نهى عن النظر والاطـــلاع فـــى بيوت الآخرين حتى عندما يؤذن للانسان بزيارة أخيه أو دخول بيته أو إذا لم يـــؤذن له فى كلتا الحالتين.

فعن أبى هريرة –رضى الله عنه– قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول : " لو اطلع فى بيتك أحد ولم تأذن له فخذفته بحصاة ففقأت عينـــه مـــا كان عليك من جناح [١٠].

(خذفته) : رميته ، ففقأت عينه أى أطفأت ضوءها أو قلعتها .

(جُناح) : اسم أو مؤاخذه .

قال النووى : ومن نظر إلى حرمة فى داره من كوة أو ثقب فرماه بخفيـــف كحصاة فأعماه أو أصاب قرب عينية فجرحه فمات فهدر بشرط عدم وجود محـــرم وزوجة للناظر والمعنى فيه المنع من النظر وإن كانت حرمة مستورة .

---

[١٠] البخارى ٨٧ كتاب الديات ١٥ باب من أخذ حقه أو اقتص دون سلطان ، ح ٢٥٢٦ ،مســـلم ٣٨ كتاب الأدب ح ٤٤ ، الأدب المفرد باب ٤٩٤ ح ١٠٧٢.

مشروعية الاستئذان:

الاستئذان مشروع بالإجماع وتظاهرت بذلك دلائل القرآن والسنة . فقال الله تعالى فى كتابه الكريم :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١١).

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة أخبرنا أبو الأحوص عن منصور عن ربعى بن خراش (١٢). قال : أخبرنا رجل من بنى عامر أنه استأذن على النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو فى بيت فقال : أألِج ؟ فقال النبى – صلى الله عليه وسلم– لخادمه : " اخرج إلى هذا فعلِّمه الاستئذان ، فقل له : قل السلام عليكم أأدخل ، فسمعه الرجل ، فقال: السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبى – صلى الله عليه وسلم– فدخل (١٣).

---

(١١) سورة النور: الآية٢٧.

(١٢) أخرجه أبو موسى مختصراً ، وقال : يقال أدرك الجاهلية ، يروى عن الصحابة . أُسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى– كتاب الشعب – المجلد الثانى – ص ٢٠٤.

(١٣) البخارى ٧٩ كتاب الأدب ١ باب بدء السلام . مقدمة الحديث ٦٢٢٧ (ترجم للسلام مع الاستئذان للإشارة إلى أنه لا يؤمن لمن لم يسلم .وقد أخرج أبو داود وابن أبى شيبة بسند جيد عن ربعى بن خراش "حدثنى رجل أنه استأذن على النبى – صلى الله عليه وسلم– وهو فى بيته فقال: أألج ؟ فقال لخادمه : " اخرج لهذا فعلمه " فقال : قل السلام عليكم أأدخل . الحديث . وصححه الدارقطنى . وأخرج ابن أبى شيبة من طريق زيد بن أسلم : بعثنى أبى إلى ابن عمر فقلت : أألج ؟ فقال : لا تقل هكذا ، ولكن قل السلام عليكم ، فإذا رد عليك فادخل=

أضواء حول الحديث :

أَألِــج : ولج يلج أى أأدخــل.

ويوضح هذا الحديث أن المسنون الجمع بين السلام والاستئذان ، وأن يقــدم السلام، ويؤكد حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم- على هداية أمته بإعلامــهم آداب الدين الإسلامى الحنيف مستغلا فى ذلك مواقف طبيعية ليترك تعليمه وهديــه عظيم الأثر فى من يتلقى عنه – عليه السلام-.

وقد بلغ من عمق تشريعات الإسلام اختصاصه بتشريعات لها وزن ولها قوة تأثير ورجحان حيث نظمت طريقة الدخول إلى البيوت والبقاء فيها والخروج منــها كقوله تعالى فى سورة النور.

وقال قتادة فى قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾ . هو الاســتئذان ثلاثــا ، فمن لم يؤذن له فليرجع .

حكمة الاستئذان ثلاثا :

الاستئذان للمرة **الأولى** ليسمع الحىّ ، وأما **الثانية** فليأخذوا حذرهم ، وأمـا **الثالثة** فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا . فلا تقعن على باب قوم ردوك عن بابــهم فإن لهم حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر وأعلم بخبيئة الناس .

= ومن طريق ابن أبى بريدة " استأذن رجل على رجل من الصحابة ثلاث مرات يقول : أأدخل؟ وهو ينظر إليه لا يأذن له . فقال : السلام عليكم أأدخــل؟ قال : نعم ، ثم قال : لو أقمت إلــى الليل...

فبالأولى يستنصتون ،وبالثانية يستصلحون ، وبالثالثة يأذنون أو يردون[١٤].

تطبيق عملى لفضيلة الاستئذان :

برز الاستئذان كفضيلة خلقية وأدب إسلامى رفيع بصورة فذة فى غزوة الخندق . وبيان ذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمّا علم بخروج الأحزاب من المشركين لقتال المسلمين وما أجمعوا له من الأمر. أمر بحفر الخندق فعمل فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حفزاً للمسلمين ودفعا لهم وترغيبا فى الأجر . عمل المسلمون معه فيه فدأب فيه ودأبوا وجعل الرجل من المسلمين إذا انتابته نائبة من قضاء الحاجة – التى لا بد منها – يذكر الله لرسول الله– صلى الله عليه وسلم – ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له . فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمل ، رغبة في الخيرواحتسابا له .فأنزل الله تعالى من الآيات ما يمتدح به المسلمين ويثنى عليهم ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١٥].

ويكفى بالاستئذان رفعة ومكانة عند الله فى نفوس المسلمين الصادقين أن يمتنع عمر بن الخطاب عن إقامة حد – استوجب أصحابه العقاب لأنه دخل عليهم بغير استئذان .

---

[١٤] الرازى جـ٢٣ ص١٦٧ .

[١٥] سورة النور : الآية٦٢.

فيحكى أن عمر – رضى الله عنه – دخل على قوم يتعاقرون على شراب، فقال : نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم ، ونهيتكم عن الإيقاد فى الأخصاص فأوقدتم . فقالوا : ياأمير المؤمنين قد نهاك الله عن التجسس فتجسست ، ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت . فقال عمر هاتين بهاتين ، وانصرف ولم يتعرض لهم.

وإذا كان هذا هو موقف المؤمنين فإن موقف المنافقين من الاستئذان كان بقصد الفرار من المعركة حتى قال أحدهم وهو معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف: " كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وقال آخر وهو (أوس بن قيظى) أحد بنى حارثة بن الحارث: يارسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك على ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة.

وهنا يصور القرآن استئذان المنافقين وتخليهم عن النبى -صلى الله عليه وسلم- حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون فى غاية الجهد والضيق ، فيقول تعالى:﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ﴾ (١٦).

ولم يكتف القرآن بتسجيل واقعة الاستئذان بل يسجل عليهم صفاتهم القبيحة وابتعادهم عن حظيرة الدين وخروجهم من عداد المسلمين بسبب تخاذلهم عن نصرة المسلمين .

---

(١٦) سورة الأحزاب: الآيتان ١٢،١٣.

قال تعالى :﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١٧].

وقد صور شاعر هذا الصنف من المنافقين في بيت شعر يقول :

أفي السِّلْم أَعيار جفاء وغلظة ∴ وفي الحرب أمثال النساء العوارك

أي في حالة المسالمة كأنهم الحُمُر ، والأعيار جمع عير وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض ، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [١٨].

وكان من الخير أن يبتعد هؤلاء النفر عن صفوف المسلمين وينأوا بأنفسهم من عداد المؤمنين ، إذ لا خير للمسلمين في ضعيف متردد ولا نفع لهم في مذبذب مضطرب . ويصور القرآن ذلك أبلغ تصوير وأصدقه في قوله تعالى:﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [١٩].

وهكذا يكون للاستئذان معنى ودلالة في كل موضع يذكر فيه ، فقد يكون من أخلاق المؤمنين الصادقين ، كما قد يكون من أخلاق المنافقين المتخاذلين.

---

[١٧] سورة الأحزاب: الآية١٦.

[١٨] سورة الأحزاب: الآية١٩.

[١٩] سورة التوبة: الآية٤٧.

مما سبق تتضح جسامة الذنب الذى يقترفه من يتخلف عن جماعة المسلمين واستئذانه فى عدم الخروج لملاقاة الأعداء ومدى ما يلحقه من خزى وعار فى الدنيا وما ينتظره من عذاب مقيم فى الآخرة.

هل إذا دعى الرجل يكون ذلك إذنه ؟

حدثنا موسى بن إسماعيل . قال حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب وهشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : رسول الرجل إلى الرجل إذنه [٢٠].

أضواء حول الحديث :

(رسول الرجل إلى الرجل إذنه) : أى بمنزلة إذنه له فى الدخول أوبمعنى لا يحتاج إلى الاستئذان إذا جاء مع رسوله ، ولو استأذن من باب الاحتياط كان أحسن سيما إذا كان البيت غير مخصوص بالرجال.

وقد أرسل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبا هريرة إلى أصحاب الصُّفّة[٢١]. فجاءوا فاستأذنوا فدخلوا .

قال البيهقى فى سننه : هذا عندى والله أعلم إذا لم يكن فى الدار حرمة، فإذا كان فى الدار حرمة فلا بد من الاستئذان خاصة بعد نزول **آية الحجاب** فى قوله

---

[٢٠] أبو داود فى ٤٠ كتاب الأدب ، ١٢٩ باب فى الرجل يدعى أيكون ذلك إذنه ، ح ٥١٨٩ ، الأدب المفرد.

[٢١] الصفة : موضع مظلل بالمسجد ، وأهل الصفة قوم من فقراء المسلمين لا مال ولا منازل لهم بل كانوا يأوون إلى مكان مظلل فى المسجد ليلا ونهارا ولا يسألون أحدا تحت رعاية النبى – صلى الله عليه وسلم–.

تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٢].

(الذين ملكت أيمانكم) : يعنى الإماء والعبيد .

(والذين لم يبلغو الحلم منكم): أى من الأحرار وليس المراد بهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بل الذين عرفوا عورات النساء ، ولكن لم يبلغوا ثلاث مرات أى فى ثلاثة أوقات هى :

١-من قبل صلاة الفجر.
٢- حين تضعون ثيابكم من الظهيرة أى وقت المقيل.
٣- ومن بعد صلاة العشاء.

ولهذا قال الله تعالى : (ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ) ، أى إذا دخلوا فى حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم فى تمكينكم إياهم ولا عليهم إن رأوا شيئا من غير تلك الأحوال لأنه قد أذن لهم فى الدخول ، ولأنهم طوافون عليكم أى فى الخدمة وغير ذلك .

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما - أن رجلين سألاه عن الاستئذان فى ثلاث عورات التى أمر الله بها فى القرآن فقال ابن عباس : إن الله ستير يحب الستر.

---

[٢٢] سورة النور: الآية٥٨.

وكان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال فى بيوتهم ، فربما فاجأ الرجل خادمة أو ولده أو يتيمه فى حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا فى تلك العورات التى سمى الله ، ثم جاء بعد ذلك بالستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوها واتخذوا الحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذى أمروا به .

وإذا أراد أحد أن يدخل على أحد فعليه أن يستأذن ، لا فرق فى ذلك بين أن يكون الداخل من المحارم أو من غيرهم ، فقد سأل رجل عمر بن الخطاب فقال له: أستأذن على أمى ؟ قال : نعم استأذن على أمك [٢٣].

والاستئذان ثلاثا، فإن سمح له بالدخول فليدخل ، وإلا فلينصرف ، فعن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه – قال : سلّم أبو موسى الأشعرى على عمر ثلاثا، فلم يؤذن له ، فرجع ، فأقبل عمر فى أثره ، فقال: لم رجعت؟ قال : إنى سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول : إذا سلّم أحدكم ثلاثا فلم يُجَب فليرجع ، فقال عمر: لتأتينى على ما تقول ببينة أو لأفعلن بك كذا – هدده– فجاء أبو موسى منتقعا لونه ، وأنا فى حلقة جالس ، فقلنا : ما شأنك ؟ فقال: سلمت على عمر، فأخبرنا خبَرَه ، فهل سمع أحد منكم رسول الله ؟ قالوا : كلنا قد سمعه، فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره بذلك [٢٤].

---

[٢٣] مصنف ابن أبى شيبة ٢٣١/١ ب.

[٢٤] مصنف عبد الرازق ٣٨١/١٠ وانظر فى ذلك موسوعة فقه عمر بن الخطاب د. محمد رواس قلعه جى ، ص٦٧.

من أساليب الاستئذان التى شرعها الإسلام :

دقّ الباب أو ضغط زِرّ الجرس المثبت فى مدخل البيت واستخدام جهاز لاستدعاء مَن يكون داخل البيت دون هتك ستره للطارق .. ويسمى هذا الجهاز باللغة الانجليزية المُعَرَّبة (الديكتافون) وحينئذ تأتى الإجابة بقبول الدخول أو الرفض لانشغال صاحب البيت فى أمر من أموره.

ولا بد من تكرار الدق أو ضرب الجرس فى غير إلحاح ، فقد يكون أهل البيت غير مستعدين للزيارة مِن قِبَل من جاء لزيارتهم .

والإنسان الراغب فى الزيارة لا بد أن يُعرِّف نفسه لأهل البيت الذى يستأذن فى الدخول عليهم فإذا قيل : من الطارق ؟ فلا يرد قائلا على سبيل المثال : أنا أنا بل يقول : أنا فلان أو أنا فلانة .

ولا يقتحم المؤمن بيتا مأهولا بالسكنى غير ملتزم بآداب الإسلام فى الاستئذان . ولا يقف فى وجه الباب بل يستقبله من إحدى جانبيه من اليمين أو من جهة اليسار تأدبا بما جاء فى الحديث الآتى:

حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا بقية قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن اليحصبى قال : حدثنى عبد الله بن بسر [٢٥]. صاحب النبى -صلى الله عليه وسلم- إذا أتى بابا يريد أن يستأذن لم يستقبله جاء يمينا وشمالا ، فإن أذن له وإلا انصرف [٢٦].

---

[٢٥] له ترجمة تالية .

[٢٦] أبو داود ٤٠ كتاب الأدب ١٢٩ باب فى الرجل يدعى أيكون ذلك إذنه ، حديث ٥١٨٩، الأدب المفرد باب ٤٩٨ حديث ١٠٨١ ص ٣٥٨ ط٢ - عالم الكتب . بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ويقول : السلام عليكم ، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور.

المتلصص على حُجر المصطفى تفقأ عينه :

حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا حماد عن عبيد الله بن أبى بكر عن أنس بن مالك أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبى – صلى الله عليه وسلم– بمشقص أو مشاقص ، قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يختله ليطعنه[٢٧]. أخرجه البخارى ومسلم .

وأخرج الترمذى [٢٨] من حديث حميد الطويل عن أنس : أن النبى – صلى الله عليه وسلم– كان فى بيته فاطلع عليه رجل فأهوى إليه بمشقص فتأخر الرجل

أضواء حول الحديث :

(المشقص): بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وصاد مهملة نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض.

(يختله) : بفتح أوله وكسر التاء معناه يراوده ويطلبه من حيث لا يشعر أو يراوغه ويستغفله.

(ليطعنه) : بضم العين وفتحها.

---

[٢٧] البخارى ٧٩ كتاب الاستئذان ١١ باب الاستئذان من أجل البصر ح ٦٢٤٢.

[٢٨] الترمذى : ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان – دار الفكر– أبواب الاستئذان والآداب – ١٧ باب من اطلع فى دار قوم بغير إذنهم – ح٢٨٥١ جـ٤ ص١٦٥ ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

وهذا الحديث الشريف ينقل إلينا خبرا يعالج به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسألة غاية فى الأهمية تمس كيان المجتمع المسلم حيث نظر رجل فى إحدى حجرات النبى ، فانتبه إليه رسول الله –عليه السلام– يحاور ويراوغ ليطعنه .إذ قد تنتهك بسبب هذا النظر حرمة حجرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لذا شرع الاستئذان . لذا لا بد من أن يسلِّم المرء المسلم على صاحب البيت ثم يطلب الاذن بالدخول، فمن اطلع فى دار قوم بدون إذن أو اقتحم هذا البيت دون إذن فهو مهدر الدم .

والاسلام دين ينزه المؤمن ويبرىء ساحته عند الخبث والدنايا والرذائل، ويصون حرمات الله من أن تنتهك ويحرص على أن يظل تماسك البناء الاجتماعى قويا متينا طاهرا نقيا ، لذا شرع الاستئذان رعاية لمبادئ وتعاليم الإسلام .

وهذا الحديث الشريف يحمل الزجر لكل مسلم يغفل عن الاستئذان كأدب من آداب دخول البيوت الخاصة.

وقول أنس بن مالك أن رجلا اطّلع من بعض حجر النبى – صلى الله عليه وسلم– يشير إلى مبدأ للسلوك الاسلامى القويم مفاده أن الاسواق والأماكن العامة لا استئذان فيها وإن كان واجبا ، أما البيوت المأهولة بالسكان فهى (حرمة) لا بد عند دخولها من الاستئذان.

والاستئذان مشروع وتظاهرت به دلائل القرآن والسنة [٢٩] ، (فإذا دخل البصر فلا إذن) ، أى فما بُقيت حاجة للإذن ، بل كأنما دخل البيت بلا إذن وهو

---

[٢٩] عون المعبود ج١٤ ص٥١.

محرّم. فدخول الرجل بيت الغير بلا إذنه وتسلله ببصره فيه سواء في الإثم: الدخول بغير إذن والتسلل بالبصر . وكلا الأمرين محرم.

وقال الكرماني في شرح البخاري: وقد شرع الاستئذان في الدخول لأجل ألَّا يقع النظر على عورة أهل البيت ولِئَلا يطَّلع على أحوالهم .

وهذا الحديث الشريف يدعونا إلى جوانب السلوك الآتية:

١- أن المسلم يتخلق بأخلاق الإسلام متمسك بآدابه ، لذا لا بد من الاستئذان عند زيارة إخوانه أو قصد بيوتهم .. ولا بد أن يسلم عليهم أولا.

٢- شرع الاستئذان لأن للبيوت حرمات وعورات . ولما كان المسلم مُتَخَلِّقا بخُلُق الحياء فيجب ألا ينظر في دار أحد إخوانه قبل الاستئذان.

٣- من نظر في بيوت الناس بغير إذنهم حق لهم فقء عينه أو قتله لِتَعَدِّيه على حرمة هذه البيوت.

تراجم الرواة

__عبد الله بن أبي بُسر :__

ابن أبي بسر ، أبو صفوان المازني نزيل حمص، له صحبة ورواية.

روى عنه : محمد بن عبد الرحمن اليحصبي ، وراشد بن سعد ، وخالد بن معدان ، وأبو الزاهرية ومحمد بن زياد الألهاني ، وسليم بن عامر ، وحريز بن عثمان ، وصفوان بن عمرو ، وحسان بن نوح وغيرهم. وهو أخو عطية بن بسر ، والصماء بنت بسر ولهم ولأبيهم صحبة . وقال صفوان بن عمرو : رأيت في جبهة عبد الله بن بسر أثر السجود.

وروى صفوان بن عمرو، عن يزيد بن خمير، سأل عبد الله بن بسر : كيف حالنا من حال من قبلنا ؟ قال: سبحان الله ، لو نشروا من القبور ما عرفوكـم إلا أن يجدوكم قياما تُصلُّون . وقال الواقدى : آخر من مات من الصحابة بالشام عبـد الله بن بسر ، توفى سنة ثمان وثمانين ، وله أربع وتسعون سنة ، ورخه فيها جماعـة. وقال يزيد بن عبد ربه : توفى فى إمرة سليمان بن عبد الملك.

عمر بن الخطاب

ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لوى القرشى العدوى ، أبو حفص.

وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وقيـل حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، فهى بهذا تكون أخت أبى جهل ، وعلى الأول تكـون ابنة عمه . ويجتمع عمر وسعيد بن زيد –رضى الله عنهما – فى نفيل.

ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة. روى عن عمر أنه قال: ولدت بعد الفِجـار الأعظم بأربع سنين.

وكان من أشرف قريش وإليه كانت السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشـا كانوا إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم ، بعثوه سفيرا، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر ، رضوا به ، بعثوه منافرا ومفاخرا .

وعن أبى هاشم الرمانى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال: أسـلم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– تسعة وثلاثون رجلا وامرأة . ثم إن عمـر

أسلم فصاروا أربعين ، فنزل جبريل -عليه السلام- بقوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٠).

وقال الزبير: أسلم عمر بعد أن دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دار الأرقم ، وبعد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء.

وكان النبى – صلى الله عليه وسلم- قد قال: " اللهم أعِزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام – يعنى أبا جهل-.

شهد عمر بن الخطاب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بدرا ، وأحدا، والخندق ، وبيعة الرضوان، وخيبر ، والفتح ، وحنينا ، وغيرها من المشاهد.

وهو الذى أشار بقتل أسارى المشركين ببدر ، والقصة مشهورة.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : " إن الله عز وجل يباهى بالناس يوم عرفة عامة، ويباهى بعمر بن الخطاب خاصة (٣١).

وقال ابن قتيبة : ضربه أبو لؤلؤة يوم الاثنين لأربع بقين من ذى الحجة ، ومكث ثلاثا ، وتوفى ، فصلى عليه صهيب ، وقبر مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبى بكر.

---

(٣٠) سورة الأنفال: الآية ٦٤،وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية ، بعد أن أورد هذا الأثر: " وفى هذا نظر ، لأن هذه الآية مدنية ، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقبل الهجرة إلى المدينة.

(٣١) مجمع الزوائد ، باب منزل عمر-رضى الله عنه- عند الله ورسوله ٥: ٧٠/٩ ، وقال الهيثمى:" رواه الطبرانى ، وفيه رشدين بن سعد ، وهو مختلف فى الاحتجاج به "

<u>أنس بن مالك بن النضر:</u>

ابن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، واسمه تيم الله ، بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصارى الخزرجى النجارى من بنى عدى بن النجار.

خادم رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان يتسمى به ويفتخر بذلك ، وكان يجتمع هو وأم عبد المطلب جدة النبى – صلى الله عليه وسلم- واسمها : سلمى بنت عمرو بن زيد بن أسد بن خداش بن عامر فى عامر بن غنم ، وكان يكنى : أبا حمزه ، كناه النبى – صلى الله عليه وسلم- ببقلة كان يجتنيها [٣٢]، وأمه أم سليم بنت ملحان ، ويرد نسبها عند اسمها.

وقد خرج أنس مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وهو غلام يخدمه ، وكان عمره لما قدم النبى – صلى الله عليه وسلم – المدينة مهاجرا عشر سنين، وقيل :تسع سنين، وقيل :ثمانى سنين.

ومن مروياته : " ارتقى النبى – صلى الله عليه وسلم- على المنبر درجة فقال: آمين . فقيل له : علام أمّنت يارسول الله ؟ فقال: أتانى جبريل فقال: رغم أنف من أدرك رمضان فلم يُغفر له ، قل : آمين .

وهو من المكثرين فى الرواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

---

[٣٢] فى النهاية : البقلة التى جناها أنس كان فى طعمها لذع فسميت حمزه بفعلها ، يقال رمانة حامزة ، أى فيها حموضة .

روى عنه ابن سيرين ، وحميد الطويل ، وثابت البنانى ، وقتـــادة والحســـن البصرى ، والزهرى ، وخلق كثير .

وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة ، وكان موته بالطّفّ [٣٣]. ودفــن هناك على فرسخين من البصرة ، وصلى عليه قطن بن مدرك الكلابى.

عبد الله بن عباس :

حَبْر الأمة، وفقيه عصره ، إمام التفسير ، أبو عبد الله ابن عــم رســول الله -صلى الله عليه وسلم- العباس بن عبد المطلب ، شيبة بن هاشم . وأمه : أم الفضل لبابة بنت الحارث بن الحزن بن بجير الهلالية . ولد بشعب بنى هاشم ، قبل الـهجرة بثلاث سنوات. وصحب النبى – صلى الله عليه وسلم- سنة ونصف ، فحدث عنــه، وعن عمر، على ومعاذ ، ووالده [العباس] ، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى ســفيان ابن صخر بن حرب وأبى ذر ، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت ، وخلق كثير . وقـرأ القرآن على أبى وزيد . وقرأ عليه : مجاهد وسعيد بن جبير.

وروى عنه : ابنه على ، وابن أخيه عبد الله بن معبد ومواليـــه، عكرمـــة، ومقسم ، وكريب ، وأنس بن مالك ، وأبو الطفيل ، وعروة بن الزبير وطاوس وعلى ابن الحسين ، وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر والقاسم بن محمد ، وأبـــو صـــالح السمان ، وأبو رجاء العطاردى وأبو العالية ، وعطاء بن أبـــى ربـــاح، والشـــعبى، والحسن .... وغيرهم كثير . وعدّ صاحب التهذيب ١٩٧ راويا أخذ الحديث عنه.

---

[٣٣] فى مراصد الاطلاع : الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

وبلغ مسنده : ١٦٦٠ حديثا، اتفق الشيخان له منها على ٧٥ حديثا ، وانفرد البخارى بـ ١٢٠ حديثا ، ومسلم بـ٩ أحاديث .

ومن المعلوم أنه -رضى الله عنه- كان صاحب مدرسة فى التفسير وله تلاميد وأتباع . وينسب اليه تفسير باسم **تنوير المقياس فى تفسير ابن عباس فيه** من الروايات الضعيفة ، الموضوعة الشيء الكثير . فليحذر ذلك.

عطاء بن يسار :

أبو محمد المدنى الفقية، مولى ميمونة أم المؤمنين ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك . وكان قاصا واعظا ثقة جليل القدر. أرسل عن أبى بن كعب وغيره .

وحدث عن أبى أيوب ، وزيد بن ثابت ، واسامة بن زيد ، ومعاوية بن الحكم ، وعائشة ، وأبى هريرة ، وطائفة ،

وعنه : زيد بن أسلم ، وصفوان بن سليم ، وعمرو بن دينار ، وهلال بن أبى ميمونة على الأرجح – وشريك بن أبى نمر .

قال ابن وهب : حدثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: كان أبو حازم يقول : ما رأيت رجلا كان ألزم لمسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من عطاء بن يسار . ذكره ابن عساكر وكان ثقة .

توفى سنة ثلاث ومائة ، وقيل قبل المائة .

ربعى بن حراش:

ابن جحش بن عمرو الغطفانى ثم العبسى الكوفى ، أحـــد كبـــار التـــابعين المعمرين ، وهو أخو الرجل الصالح مسعود بن حراش الذى تكلم بعد الموت.

سمع: عمر بن الخطاب بالجابية ، وعليا ، وحذيفة ، وأبـــا موســـى ، وأبـــا مسعود البدرى ، وأبا بكر الثقفى ، وجماعة .

وعنه : أبو مالك الأشجعى ، ومنصور ، وعبد الملك بن عمير، وحصين بن عبد الرحمن . وآخرون .

قال عبد الرحمن بن حراش ربعى بن حراش صدوق ، وقال العجلى ثقة .

قال هارون بن حاتم : ثنا أصحابنا أن ربعيا توفى سنة إحدى وثمانين .

وقال خليفة : توفى بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة ، وابن المدينى وغيرهما : توفى فى خلافة عمر ابن عبد العزيز .

وقال ابن نمير : توفى سنة إحدى ومائة ، وقال أبو عبيد سنة مائة ، وقـــال ابن معين : سنة اربع ومائة.


الكلمة

الكلمـــة

اللغويات :

كلم : القرآنُ : كلام الله وكَلِمُ الله وكلماته وكلمته ، وكـــلام الله لا يُحـــد ولا يُعَدّ، وهو غير مخلوق ، تعالى الله عما يقول المُفْترون علوا كبيراً . وفى الحديـــث: أعوذ بكلمات الله التامات ، قيل : هى القرآن .

قال ابن الأثير : إنما وصف كلامه بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون فى شـــىء من كلامه نَقْص أو عيب كما يكون فى كلام الناس، وقيل : معنى التمام ههنا أنـــها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه . وفى الحديث : سبحان الله عدد كلماته، كلِماتُ الله أى كلامه ، وهو صفته وصفاته لا تنحصر بالعدد ، فذكر العـــدد هـــهنا مجاز بمعنى المبالغة فى الكثرة، . وقيل : يحتمل أن يريد عـــدد الأذكـــار أو عـــدد الأجور على ذلك ، ونَصْبُ عدد على المصدر، وفى حديـــث النســـاء : اســـتحللتم فُرُوجَهُن بكلمة الله ، قيل هى قولـــه تعـــالى : ﴿ **فَإِمْسَـــاكٌ بِمَعْـــرُوفٍ أَوْ تَسْـــرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾[1]. وقيل : هى إباحة الله الزواج وإذنه فيه .

ابن سيده : الكلام القول ، معروف ، وقيل : الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه ، وهو الجزء من الجملة ، قال سيبويه: اعلـــم أنّ قلت إنما وقعت فى الكلام على أن يُحكى بها ما كان كلاما لا قولا ، ومـــن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماعُ الناس على أن يقولوا القـــرآن كـــلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله، وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفـــه ولا

---

[1] سورة البقرة: الآية٢٢٩.

يسوغ تبديل شيءمن حروفه ، فَعُبِّر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون إلا أصواتا تامة مفيدة .

قال أبو الحسن : ثم إنهم قد يتوسعون فيضعون كل واحد منهما موضع الآخر ، ومما يدل على أن الكلام هو الجمل المتركبة فى الحقيقة قول كثير:

لو يسمعون كما سمِعتُ كلامها ∴ خرُّوا لِعَزَّةَ رُكعا وسجودا

فمعلوم أن الكلمة الواحدة لا تُشجي ولا تُحزن ولا تتملك قلب السامع، وإنما ذلك فيما طال من الكلام وأُمْتِعَ سامعيه لعذوبة مُسْتَمَعِه ورقة حواشيه ، وقد قال سيبويه : هذا باب أقل ما يكون عليه الكلم ، فذكر هنالك حرف العطف وفاءه ولام الابتداء وهمزة الاستفهام وغير ذلك مما هو على حرف واحد ، وسمى كل واحدة من ذلك كلمة .

الجوهرى : الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكَلِمُ لا يكون أقل من ثلاث لأن جمع كلمة مثل نَبِقة ونَبِق ، ولهذا قال سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية، ولم يقل ما الكلام لأنه أراد نفس ثلاثة أشياء : الاسم والفعل والحرف، فجاء بما لا يكون إلا جمعا وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة ، وتميم تقول : هى كِلْمَةٌ بكسر الكاف ، وحكى الفراء فيها ثلاث لغات : كَلِمة ، وكِلْمَة وكَلْمَة ، مثل كَبِدٍ وكِبْد وكَبْد ، ووَرِقٍ ووِرْقٍ ووَرْقٍ ،وقد يستعمل الكلام فى غير الإنسان ، قال :

فَصَبَّحَتْ ، والطيرُ لَمْ تَكَلَّم ∴ جابِيةً حُفَّت بِسَيْل مُفْعَم

وكأن الكلام فى هذا الاتساع إنما هو محمول على القول ، ألا ترى إلى قلة الكلام هنا وكثرة القول ؟

والكِلْمة : لغة تميمية ، والكَلِمة : اللفظة ،حجازية ، وجمعها كَلِمٌ ، تذكر وتؤنث . يقال : هو الكِلمُ وهى الكلم . التهذيب : والجمع فى لغة تميم الكِلِمُ ، قال رؤبة : لا يسمع الرَّكْبُ به رَجْعَ الكِلَم.

وقول سيبويه : هذا باب الوقف فى أواخر الكلم المتحرك فى الوصل ، يجوز أن تكون المتحركة من نعت الكَلِم فتكون الكَلِم حينئذ مؤنثة ، ويجوز أن تكون من نعت الأواخر ، فإذا كان ذلك فليس فى كلام سيبويه هنا دليل على تأنيث الكلم بل يحتمل الأمرين جميعاً، فأما قول مزاحم العُقيلى :

لَظَلَّ رهينا خاشِع الطَّرف حطّه ∴ تَحَلُّبُ جَدْوَى والكلام الطرائف

فوصفه بالجمع ، فإنما ذلك وصف على المعنى كما حكى أبو الحسن عنهم من قوله : ذهب به الدينار الحُمْرُ والدِّرْهَم البيضُ[٢].

الكلمة تجلب رضوان الله أو تسبب سخطه:

عن بلال بن الحارث –رضى الله عنه – قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه[٣].

---

[٢] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور تقديم عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خيلط ، المجلد الثالث – ص ٢٩٠ ، ٢٩١.

[٣] البخارى ٢٦٦/١١ ، ٢٦٧ ، الترمذى . أبواب الزهد ، قلة الكلام – ح ٢٣١٩ ، مالك فى الموطأ. ما يؤمر به من التحفظ فى الكلام ح ٥ ص ٦٠٩ طـ. كتاب الشعب .

ولهذا الحديث روايات متعددة منها :

- أبى هريرة : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النـــار أبعد ما بين المشرق والمغرب "[٤]. وقال الترمذى : هذا حديث حســـن غريب من هذا الوجه .

- حدثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد ثنا بهز بن حكيم ثنى أبى عـــن جدى قال : سمعت النبى – صلى الله عليه وسلم – يقول : " ويل للـــذى يحدّث بالحديث ليُضحِك به القوم فيكـــذب ويـــل لـــه ويـــل لـــه [٥]. قال : وفى الباب عن أبى هريرة قال : هذا حديث حسن .

- أبى هريرة : " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها فى النـار أبعد ما بين المشرق[٦].

والحديث السابق برواياته المختلفة رواةً المتقاربة معنًى يبين خطورة الكلمـــة أو المقالة التى ينطق بها اللسان وذلك فيما ينجم عنها من آثـــار . فإمـــا أن ينطـــق الإنسان بكلمة خير فيجنى ثمارها وتعود عليه وعلى غيره من الناس بالنفع العميـــم وتؤدى به إلى الجنة والنعيم ، وإما أن ينطق بمقالة السوء والشر فينتج عـــن ذلـــك ما لا يحمد عقباه ، فيغضب الناس ويسخط الله عليه إلى يوم القيامة .

---

[٤] البخارى ١١/٢٦٥ ، ٢٦٦، مسلم ٢٩٨٨ ، مالك ٢/٩٨٥ ، الترمذى ٢٣١٥ ، ٣٣ كتاب الزهد ١٠ باب فيمن تكلم بكلمة يُضحك بها الناس ح ٢٣١٤ .

[٥] أحمد فى منده ، أبو داود ، الترمذى ، الحاكم فى مستدركه.

[٦] البخارى . الفتح : ١١/ ٣١٤ – ٨١ كتاب الرقاق ٢٣ باب حفظ اللسان ... ح ٦٤٧٧.

إذا فالإنسان العاقل يجب أن يعِيَ ويعقل ما يقول ويفكر فيه مليـــا قبـــل أن يلفظ به .

والحديث يعرض الملافت الآتية :

- مغبة مبادرة الناس بالكلام دون التفكير فى عواقبه وآثاره المترتبة عليه.
- مثوبة المؤمن الحريص على رضوان ربه عندما يتكلم بالخير ويتحـــرى الكلام الطيب النافع المثمر.
- الإبتعاد عما يؤدى إلى القطيعة والعداوة والبغضاء.

وعلى ذلك فالإنسان محاسب على أقواله وكلامه ، كما أنه محاســـب علـــى أفعاله. وقد يدخل النار بسبب كلمة ، كما يدخل الجنـة أيضاً بسبب كلمة .. أرأيـــت بعد الشقة بين مآل الكلمتين .. فكلمة تودى إلى النار .. وأيضا كلمة تهدى وتـــؤدى إلى الجنة .. ومخرج هذه لسان .. ومخرج تلك لسان .. وربما كان لســـانا واحـــدا أخرج هذه وتلك .

لِمَ يحاسب الإنسان عما يتلفظ به خيرا وسوءا؟

لأن الكلام ترجمان يعبر عن شخصية الإنســـان وعـــن فكـــره وعواطفـــه وأحاسيسه ونواياه ، وبه تُعرف شخصيته وتتكشف حقيقته وتستبين طويته.. وبمعنـــى آخر لأن الكلام الذى تنطق به الألسنة لغة واللغة وعاء الفكر، وبالفكر يمكن تقييـــم المتكلم ، فقد يرفع الكلام قدر صاحبه أو يرتفع به الإنسان قدرا فى أعين الناس، وقد تتدنى منزلته ويهون شأنه ومنزلته.

منزلة الكلام عند الإنسان العربى:

كان الكلام عند الإنسان العربى سلوكاً . صحيح أن هذا السلوك لا يزيد -عند البعض – عن كونه مجرد " سلوك لفظى " لكن الرجل كان يرى فيه ترجمانا يعبر عن كل شخصيته ، ولسان حال ينطق باسم ذاته العميقة ، ولهذا قال حكماء العرب: " إن الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر لا يمكن استرجاع بوادره[٧] ولا يقدر على رد شوارده[٨].

دور الكلمة فى حياة الإنسان :

لم تغفل الكلمة العربية عن دور " الكلمة " فى حياة الإنسان ، فإنها كانت على وعى بما قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حين توجه بالنصح إلى"معاذ" فقال: " يامعاذ : أنت سالم ما سكتّ ، فإذا تكلمت فعليك أو لك[٩]. أجل فإن كلامك يشهد لك أو يشهد عليك ، حيث أن الكلمة من قائلها بمعناها فى نفسه لا بمعناها فى نفسها ، وهو حين ينطق بها فإنها تحكم عليه أكثر مما يحكم هو عليها ، وهى حين تكون محكومة معقولة فإنها تجىء لتوضح حقا ، أو تدحض باطلا ، أو تنشر حكمة، أو تذكّر نعمة ، وأما حين تكون هوجاء طائشة ، فإنها قد تكشف عن جهل ، أو تسبب ضرّا ، أو تذيع سرا ، أو تتلف نفسا.

---

[٧] بوادره : الكلمات الطائشة .

[٨] شوارده : ما ينفر - انظر مقومات الحياة فى الاسلام– السيد شعبان –ط دار الشعب ، ص٩٧-٩٨.

[٩] أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى تحقيق د.حمزة النشرتى، الشيخ عبد الحفيظ فرغلى ، د. عبد الحميد مصطفى ص٣٣٦.

الكلمة المنحرفة مَهْوَى إلى النار :

حدثنا محمد بن بشار أخبرنا ابن أبى عدىّ عن محمد بن إســحاق ، حدثنــا محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة . قـــال : قـــال رســول الله –صلى الله عليه وسلم– : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأســا يــهوى بـها سبعين خريفا فى النار "[١٠].

أضواء حول الحديث :

ينطق الإنسان الكلمة وهو لا يرى أن تلك الكلمة كلمة سوء ولا يظن أنـــها ذنب يؤاخذ به ويعاقب عليه ، ولكن ما قد ينطق به الإنسان من لفظ قليل فى مبنـــاه وعدد حروفه ولكنه عظيم فى معناه وخطير الأثر . وعلى هذا فكلمة السوء تجلـــب غضب الله وتستوجب عقابه صاحبها فى نار جهنم وبئس المصير يصلاهـــا جــزاء إفساده بما تلفظ به . وحول هذا المعنى يقول شاعر عربى :

جراحات السنان تبــــــرا ∴ ولا يبرا ما جرح اللســـــان
جراحات السنان لها التئــام ∴ ولا يلتام ما جرح اللســـــان

ولكلمة السوء آثارها على قائلها حيث قد تبطل صلاته وصومه ، وقد تكـون وزرا كبيرا إذا كانت تتعلق بالإيمان والعقيدة .

وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يرى بها بأسا – يشير إلـــى أن التكلم بغير تعقل وروية طيش يدل على استهانة الناس بـــالكلام وبآثـــاره ، ولذلــك يتعجلون به .

---

[١٠] الفتح ٣١٤/١١ بنحوه – ح ٦٤٧٨.

وقد حث تعالى على الكلمة الطيبة لما لها من فضل – فهى كما شبهها- سبحانه كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفروعها باسقه ممتدة فى السماء.

والكلمة **الطيبة** تترك فى نفوس الناس آثارا طيبة ويخلد ذكرها ولها الأثر الحسن ، أما الكلمة **الخبيثة** كما شبهها الله كشجرة خبيثة ضارة لا يتحقق من ورائها إلا الشر والخبث – اجتثت من جذورها القريبة من الأرض.

يقول تعالى :﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ * تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾ [١١].

نفهم من هاتين الآيتين الكريمتين أن الله تعالى يقول : ألم تعلم أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلاً لكلمة الحق الطيبة وكلمة الباطل الخبيثة ، فجعل الكلمة الحسنة الفائدة مثل شجرة حسنة المنفعة، أصلها ضارب بجذورها فى الأرض، وأفنانها مرتفعة إلى جهة السماء تعطى ثمرها كل وقت عينه الله لإثمارها بإرادة خالقها، كذلك كلمة التوحيد ثابتة فى قلب المؤمن ، وعمله يصعد إلى الله ، وينال بركته وثوابه كل وقت . ويبين الله الأمثال للناس ، فيشبه المعانى بالمحسوسات ليتعظوا فيؤمنوا . والكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة ، كأنها اقتلعت ، وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات فيها . كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها ! لأنها لم تعاضد بحجة [١٢].

---

[١١] سورة إبراهيم : الآيتان ٢٤،٢٥.

[١٢] المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، طـ١٢ ، ص٣٦٧ ، ٣٦٨.

وهذا الحديث الشريف يرشد إلى :

١-أن الإنسان مسئول عما ينطق به لسانه ، محاسب عليه خاصة وقد أرشده الله تعالى إلى وجوب التكلم بما هو طيب ونهاه سبحانه عن الكلام الفاحش وكلام السوء.

٢- لذا يجب على المسلم عدم الاستهانة أو الاستهتار فيما ينطق به لسانه ووجوب التفكير فى ما سينطق به وما يترتب عليه من عواقب.

٣-يعلى الإسلام من شأن الكلمة . فرغم أنها تتكون من حروف قليلة فى مبناها لكنها لا شك قد تكون خطيرة فى معناها ، وقد قدس العرب الكلمة ووضعوا لها شروطا منها البلاغة والفصاحة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

تلك هى شروط البلاغة والفصاحة عندهم ، ومعلوم أن القرآن أشرف الكلام وأجله وأعظمه لأنه منزل من لدن حكيم عليم خبير ، يقول الله تعالى : **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾** [١٣].

نعم إن كتاب الله هو المعجزة الإلهية التى أيد بها رب العزة جل وعلا أفضل خلق الله ، وهومعجزة تعتمد على ما يحمله القرآن من معانى ومغازى وتأثير خلاب على العقول والألباب ، وهو كتاب هداية وإعجاز معنوى ومادى

[١٣] سورة الزمر : الآية ٢٣.

علمي يدل على قدرة الله عز وجل وعظمته في خلقه . وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل ولا يتطرق إليه الشك ، هو كتاب دين ودنيا .

وقد آمن به نفر من الجن حين استمعوا إليه . فقال تعالى:﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** ﴾ [١٤].

٤-ينهى الحديث عن كل كلام فيه إساءة إلى أنفسنا أو أهلنا أو الغير. وهو يكشف عن سلوكيات خاطئة تنتشر في مجتمعنا حتى لتكاد تكون ظاهرة عامة ولا يسلم منها إلا من عصم الله وهي ظاهرة المزاح و " التهريج " مع الأصدقاء والإخوان والجيران وزملاء العمل بألفاظ وكلمات وعبارات متبادلة يبرأ منها الله ورسوله وكل إنسان مسلم مربّى على الآداب والعادات والأخلاقيات الإسلامية الكريمة، وهم يجهرون بهذه الألفاظ فيتسابون ويلعن بعضهم آباء بعض أو تلعن الفتيات أمهات بعضهن البعض متناسين -رجالا ونساء- قول النبي -صلى الله عليه وسلم- " ليس المؤمن بالطّعان [١٥] ولا اللّعّان [١٦]. ولا الفاحش[١٧]ولا البذيء[١٨][١٩]، وقوله -صلى الله عليه وسلم - : " إن من أكبر الكبائر

---

[١٤] سورة الجن : الآيتان ١، ٢.

[١٥] الطعان : الذي يقع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة .

[١٦] اللعان : الذي يكثر لعن الناس .

[١٧] الفاحش: ذي الفحش في كلامه .

[١٨] البذيء: الفاحش في منطقة .

أن يسب الرجل والديه " . قالوا : وهل يسب الرجل والديه ؟ قال: " نعم. يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه وأمه "[٢٠].

٥- وقوله- صلى الله عليه وسلم - " لا يرى بها بأسا " إشارة إلى أن سبب إساءة الكلام إنما هو ضعف الوازع الدينى وعدم التمسك بتعاليم الإسلام فى رعاية أمانة الكلمة والقول .

٦- أن إساءة القول تفضى بصاحبها جراء ما نتج من فساد ترتــب علــى كلامه الطائش الغير معقول إلى نار جهنم وبئس المصير. فقال رســول الله – صلى الله عليه وسلم – : " أملك عليك لسانك وليســعك بيتــك ولتبك على خطيئتك " . ويفهم من هذا أن رسول الله – صلى الله عليــه وسلم – ينذر المسلمين من سيء الكلام وفاحشه ، ويأمر بقول الخــير ويجعل قوله قرين الإيمان بالله عز وجل. فقال – صلى الله عليه وسلم- "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بــالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليــوم الآخــر فليقل خيرا أو ليصمت"[٢١].

---

[١٩] الحديث صحيح رواه ابن مسعود وهو فى مسند أحمد ، البخارى فى الأدب المفــرد وابــن حبان فى صحيحه ، الحاكم فى المستدرك – مختصر شــرح الجــامع الصغــير للمنــاوى – مصطفى محمد عمارة – جـــ١ –ط ١٣٧٣هــ- ١٩٥٤م ص٢٢٨.

[٢٠] البخارى : كتاب الأدب – باب لا يسب الرجل والديه – رواه ابن عمر ، الحديث رواه ابــن قانع عن الحرث بن هشام . الطبرانى فى الكبير بلفظ [أملك عليــك لســانك] وبتمامــه رواه الترمذى عن عقبة بن عامر والحديث حسن.

[٢١] البخارى : كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .. الخ والحديــث رواه أبــو هريرة بألفاظ متقاربة .

وقوله – عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام– " يهوى بها سبعين خريفا فى النار":هذا التعبير دقيق حيث يؤكد على عدل الله فى مسألة الثواب والعقاب، فالعقاب هنا على قدر العمل ، والجزاء على قدر الجريمة وهى كلمة السوء أو كلام الشر.

(بها): أى بسببها .

(وسبعين خريفا) : يبين شدة وقسوة هذا العقاب وهو التردى مدة سبعين سنة فى نار جهنم جزاء ما جرت وتسببت كلمة السوء من ويلات وفساد وعداوات وقطعية أرحام.

من المفلس ؟

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " أتدرون من المفلس ؟ فيقولون: إن المفلس فينا من لا درهم ولا متاع . فيقول – صلى الله عليه وسلم – : "إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا فنيت طرح فى النار.

وقال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [٢٢].

---

[٢٢] سورة الحج : الآيتان ٣٠، ٣١.

معنى قول الله تعالى فى هذه الآية : أن من يعظم أحكام الله ، وسائر ما لا يحل انتهاكه وجميع ما يتعلق بالحج (مثلا) من التكاليف فالتعظيم خير له عند ربه فيثيبه عليه فى الآخرة.

كما يأمر الله عباده فى الآية باجتناب الرجس من الأوثان " بمعنى الأوثان القذرة" ، كما يجتنب كل شىءنجس قذر. فالمسلم إذًا منهى عن الشرك بالله أحدا ، مأمور بتوحيده عز وجل . وأسوق هذه القصة من البدايات الوضيئة عن الإسلام وما يفعله فى النفوس من اعتزاز بالعقيدة والدفاع عنها ، وعنوانها :

الهجرة إلى الحبشة وأثر الكلمة فى إرساء العقيدة :

قال جعفر بن أبى طالب .. وكان متكلما عن المسلمين فى حضرة النجاشى: أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدعاء ، ونهانا عن قول الزور والفواحش ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – فعدّد عليه أمور الإسلام... ويستأنف جعفر –رضى الله عنه – قائلا: فصدقناه واتبعناه وآمنا به على ما جاءنا به من دين الله ، فعبدنا الله وحده ، ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا

بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من ســـواك ، ورغبنـــا فـــى جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . فقال له النجاشى: هل معـــك ممـــا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر : نعم فقال له النجاشى : فاقرأه علـــىّ . فقرأ عليه صدراً من ﴿ كهيعص﴾ فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته ، وبكـت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشـى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقـــا فـــلا والله لا أســلمهم إليكما، ولا يكادون ، يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه. فخرجا .

وقال عمرو بن العاص لعبد الله بن ربيعة : والله لآتينهم غدا بما استأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن ربيعة : لا تفعل فإن لهم أرحاما ، وإن كـــانوا قـــد خالفونا ولكن أصر عمرو على رأيه.

فلما كان الغد قال للنجاشى : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مريـــم قولا عظيما ، فأرسل إليهم النجاشى يسألهم عن قولهم فى المسيح ، ففزعوا ، ولكنهم أجمعوا على الصدق كائنا ما كان ، فلما دخلوا عليه ، وسألهم قال جعفر : نقول فيــه الذى جاءنا به نبينا – صلى الله عليه وسلم – . هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمتـه ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فأخذ النجاشى عودا من الأرض ، ثم قال :والله ما عدا عيسى بن مريم مـــا قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته . فقال : وإن نخرتم والله . ثم قـــال للمســـلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى " أى آمنون" من سبّكم غرم ، من سبكم غرم، ما أحـــب أن لى دبرا من ذهب " جبل" وأنى آذيت رجلا منكم . ثم قال لحاشيته ، ردوا عليـــهما

هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكـــى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه[٢٣].

وقد وقع هذا الحدث أواخر السنة الرابعة من النبوة . ولما رأت قريـــش أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ماضٍ فى عمله وعرفت أن أبا طالب قد أبـــى خذلان رسول الله --عليه الصلاة والسلام– وأنه مجمع وعداوتهم فى ذلك ذهبوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له : يأبا طالب ، إن هذا الفتى أنهد فتـــى فـــى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينـــا ابـــن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتلـــه فإنما هو رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسوموننى ، أتعطونى ابنكم أغذوه لكـــم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ، هذا والله ما لا يكون أبدا

فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف:والله يأبا طالب لقـــد أنصفـــك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقـــال : والله ما أنصفتمونى ، ولكنك أجمعت خذلانى ، ومظاهرة القوم على ، فـــاصنع مـــا بدالك[٢٤]. وكان ذلك فى السنة السادسة من النبوة .

الصفات المطلقة :

محظور فى الإسلام أن يمدح إنسان بالصفات المطلقة كأن تقول : " قداســـة فلان" تقصد شخصا من بنى آدم أو أن تقول : " فلان ولى من أولياء الله الصـــالحين" أو أن تقول : " فلان رحمن" أو " جبار " أو " منتقـــم " أو " معِـــزّ " أو " مـــذِلّ " أو

---

[٢٣] الرحيق المختوم لصفى الدين المباركفورى ص٩٥/٩٦ " باختصار".

[٢٤] سيرة ابن هشام جـــ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧.

تقول: " فلان من المتقين" . كما أن من المحظور أيضاً أن تقول : " فلانا الأعظم" أو "عظمة فلان" سواء كان ذلك تمادحاً أو ذما أو قصد بأحدهما الآخر فهذا محرم ويعد كبيرة من الكبائر . والله تعالى الأعلم بعباده يقول :﴿ .. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٢٥]. وقد مدح رجلا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فقال له : "ويحك قطعت ظهر صاحبك".

حكم النهى عن التمادح بالصفات المطلقة :

يكون ذلك للاسباب الآتية :

١-أن صفات الكمال والحسن خاصة برب العزة ، فيجب ألا ينازعه فيها أحد من الأغيار بمعنى يعتريه النقصان والتغير والفناء.

٢-إنك إذا مدحت إنسانا بصفات مطلقة فالممدوح تصيبة آفات تجعله يقع فى المحظور فيصاب بالغرور أو العجب حين يدخل السرور فى قلبه ويزيد طغيانا وكفرا وتجبرا وفسقا.

٣- أن يغفل الممدوح عن مواصلة الطاعة ويتكاسل ويغفل عن تقصيره.

٤- كذلك فإن المبالغة فى المدح تؤدى إلى الكذب والرياء والنفاق . من أجل ذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " احْثوا التراب فى وجوه المدّاحين " [٢٦]. وهذا الحديث يجعل المديح من أجل هدف شخص يحاول المادحون نيله كمال أو جاه أو سلطان ، فلا شك أن هذا يوقعهم فى المحظور ، ولتلافى ذلك فعلى المسلم أن يقول: اللهم اجعلنى

---

[٢٥] سورة النجم: الآية٣٢.

[٢٦] عن أبى هريرة وأخرجه الترمذى ، وابن عدى فى الكامل ، وأبى نعيم فى الحلية.

خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون،ولا تؤاخذنى بما يقولون-هذا ما يقوله الممدوح . وعلى الممدوح كذلك أن يعلم أن مدح الناس لـــه لا يرفع من قدره عند الله، بل قد يؤاخذ به ويحاسب عليه يوم القيامة.

ماذا يجب على المسلم ؟

والإنسان المسلم يتوجب عليه ألا يسعى ويحاول مجتهدا أن ينتزع الثنـــاء ، بل عليه أن يهتم بنظر الله تعالى إليه وأن يهتم بمحاسبة نفسه ويتهمـــها بـــالتقصير ويذكرها بما اقترف من ذنوب . وصدق عمر بن الخطاب حين قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وَزِنوا أعمالكم قبل أن تُوزَن عليكم . فأهون عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر . لقوله تعالى:﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ (٢٧).

كما ينبغى للمسلم أن لا يمدح نفسه ويتفاخر على غيره مـــن النـــاس بأنـــه أكثرهم تقوى وأقربهم إلى الله صلة وأصدقهم إيمانا وأداء للفرائض والنوافل أو أنـــه أعظمهم علما وأرجحهم عقلا أو أغناهم مالا وولدا أو أحسنهم بيتا وهيئـــة وألينـــهم جانبا ، فهذا كله نهى الله تعالى عنه إذ يقول سبحانه وتعالى :﴿ **فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ (٢٨).

حكم من تكلم بالكلمة ليضحك الناس :

عن معاوية بن حيدة : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : " ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له (٢٩).

---

(٢٧) سورة النجم : الآية ٣٢.

(٢٨) سورة الحاقة: الآية١٨.

(٢٩) أخرجه أحمد فى مسنده ، أبو داود ، الترمذى ، الحاكم فى مستدركه.

ومعنى هذا الحديث أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يتوعد بالـــهلاك صنفـا من الناس يسلكون مسلكا يهدفون من ورائه إضحاك الناس ووسيلته إلى ذلك تعمده الحديث الكاذب ، ولكن إذا تحدث الحديث الصـــادق علـــى ســبيل المـــزاح فهذا جائز.

تراجم الرواة

بلال بن الحارث المزنى

بلال بن الحارث بن عُصْم بن سعيد بن قُرَّة بن خَلَاوة بن ثعلبة بن ثور بـــن هُدْمَة بن لاطِم بن عثمان عمرو بن أد بن طابخة، أبو عبد الرحمن المُزَنى ، وولـــد عثمان يقال لهم : مزينة، نسبوا إلى أمه مزينة ، وهو مدنى قدم على النبى – صلـــى الله عليه وسلم- فى وفد مزينة فى رجب سنة خمـــس ، وكـــان يـــنزل الأشعـــر والأجرد[٣٠]. وراء المدينة ، وكان يأتى المدينة ، وأقطعه النبى – صلـــى الله عليـــه وسلم- العقيق[٣١].روى عنه ابنه الحارث وعلقمة بن وقاص .

أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله بن على المذكر وإبراهيم بن محمـــد الفقيـــه ، وأحمد بن عبيد الله بن على ، قالوا بإسنادهم إلى محمد بن عيسى قال: حدثنا حماد ، هو ابن السرى ، حدثنا عبدة عن محمد بن عمرو ، عن أبيه عن جده قال : سمعت بلال بن الحارث المزنى صاحب رسول الله – صلى الله عليه وســـلم- يقـــول :"إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بـــــها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يظن أن تبلغ مـــا

---

[٣٠] الأشعر والأجرد : جبلا جهينة بين المدينة والشام.

[٣١] فى مراصد الاطلاع : العقيق هو كل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنـــهره ووســـعه . والمقصود به هنا عقيق المدينة ، وفيه عيون نخل.

بلغت ، فيكتب عليه سخطه إلى يوم يلقاه" رواه سفيان بن عيينه ، ومحمد بن فليح ، ومحمد بن بشر ، والثورى ، والدراوردى ، ويزيد بن هارون هكذا موصولا ، ورواه محمد بن عجلان ومالك بن أنس ، عن محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن بلال، ورواه ابن المبارك ، عن موسى بن عقبة عن علقمة بن بلال.

وتوفى بلال سنة ستين آخر أيام معاوية ، وهو ابن ثمانين سنة . أخرجه ثلاثتهم ، إلا أن ابن منده قال: روى عنه ابناه : الحارث ، وعلقمة ، وإنما هو علقمة ابن وقاص. والله أعلم.

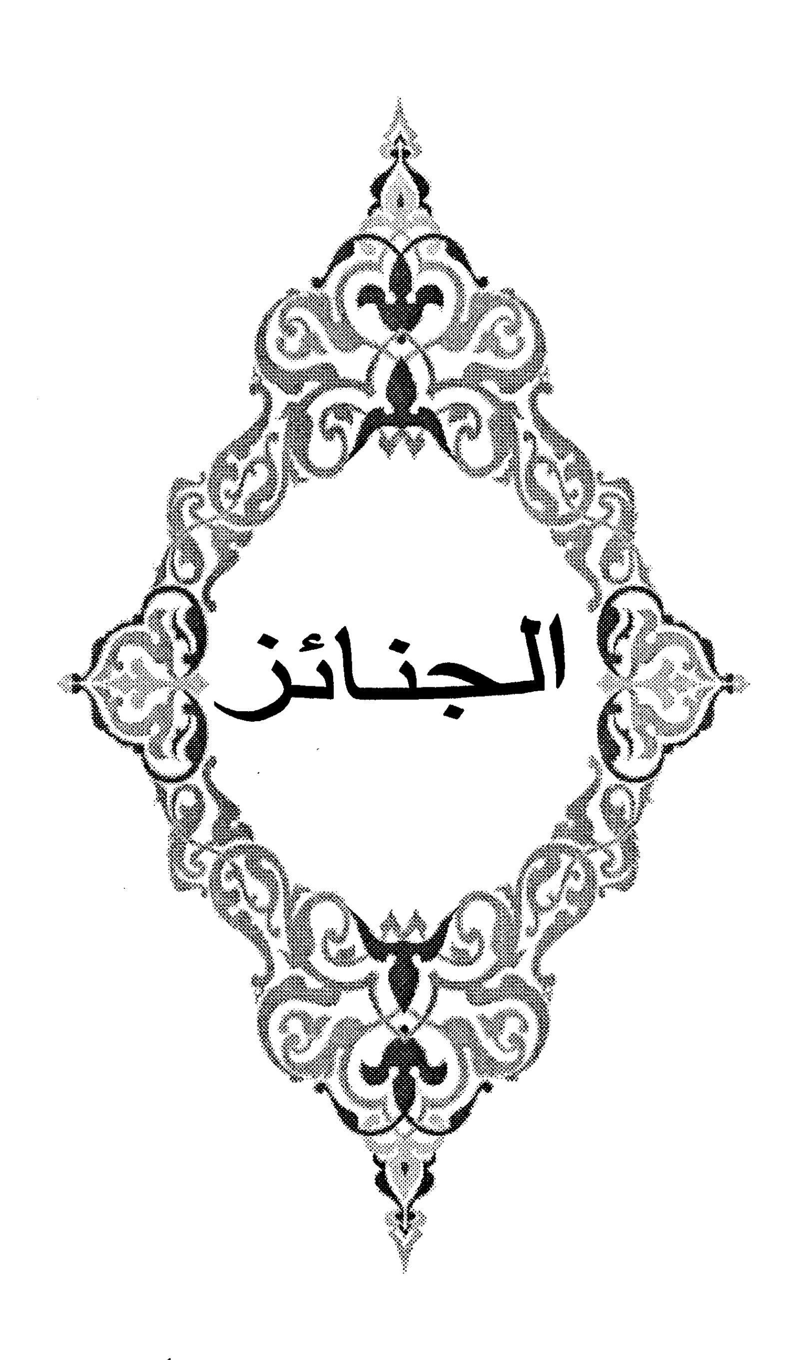
معاوية بن حيدة القشيرى :

من أهل الطبقة السابعه[٣٢]. جد بهز بن حكيم [٣٣] ، له صحبة ورواية ، نزل البصرة ثم غزا خراسان ومات بها . روى عنه : ابنه حكيم ، وحميد المرى رجل مجهول . حديثه فى السنن الأربعة ، أعنى معاوية .

---

[٣٢] تاريخ الإسلام للذهبي- المجلد الثانى - ص٥٠٩ .

[٣٣] من الطبقة الخامسة عشرة .



الجنائز

الجنائـــز

اللغويات :

جنز : جَنَزَ الشيء يجنزه جنزا : ستره .

وذكروا أن النَّوَّار لما احْتُضِرت أوصت أن يصلى عليها الحسن، فقيل له فى ذلك ، فقال : إذا جَنَزْتُمُوها فآذِنونى.

والجِنازة والجَنازة : الميت ، قال ابن دريد : زعم قوم أن اشتقاقه من ذلـــك، قال ابن سيده : ولا أدرى ما صحته ، وقد قيل : هو نَبَطِـــى . والجِنـــازة : واحـــدة الجنائز ، والعامة تقول الجنازة بالفتح ، والمعنى الميت على السرير، فإذا لـــم يكـــن عليه الميت فهو سرير ونَعْش.

وفى الحديث أن رجلا كان له امرأتان فَرُميت إحداهمـــا فـــى جنازتـــها أى ماتت. تقول العرب إذا أَخْبَرَتْ عن موت إنسان : رُمِى فى جنازتـــــه لأن الجِنـــازة تصير مَرْمِيًّا فيها ، والمراد بالرمى الحَمْل والوضع. والجِنـــازة بالكســـر : الميـــت بسريره ، وقيل بالكسر السرير ، وبالفتح الميت. ورُمِى فى جنازته أى مات ، وطُعِن فى جنازته أى مات.

ابن سيده : الجَنازة بالفتح ، الميت ، والجِنازة ، بالكسر : السرير الذى يحمل عليه الميت، قال الفارسى : لا يسمى جِنازة حتى يكون عليه ميت، وإلاّ فهو ســـرير أو نعش ، **وأنشد الشماخ** :

إذا أَنْبَضَ الرامون فيها ترنمت ∴ ترنـــم ثكلى أوجعتها الجنائز

وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به ، فهو جِنازة عليهم ، **قال**:

وما كنت أخشى أن أكون جِنازةً ∴ عليك ، ومن يفتر بالحَدَثـــان؟

الليث : الجنازة الانسان الميت والشيء الذى قد ثقُل على قوم فاغتموا به ،
قال الليث: وقد جرى فى أفواه الناس جَنازة ، بالفتح ، والنحارير ينكرونه .
ويقولون:جُنِزَ الرجل، فهو مجنوز إذا جمع .
الأصمعى:الجِنَازة ، بالكسر ، هو الميت نفسه ، والعوام يقولون إنه السرير.
تقول العرب: تركته جِنازة أى ميتا.
النضر : الجِنَازة هو الرجل أو السرير مع الرجل.

وقال عبد الله بن الحسن:سميت الجِنَازة لأن الثياب تُجمـــع والرجـــل علـــى السرير. قال: وجُنِزوا أى جُمعوا .

ابن شميل : ضُرب الرجل حتى تُرِك جِنازةً ، قال الكميت يذكر النبى -صلى الله عليه وسلم- حيا وميتا :

كان مَيْتا جِنازةً خيرَ مَيْتٍ ∴ غَيَّبَتْه حَفَائِرُ الأقـــوام[1].

الإسراع بالجنازة :

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "أسرعوا بالجنازة فإن كانت صالحـــة قربتموها، وإن كانت غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم "رواه أبو هريرة[2].

---

[1] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور، تقديم عبد الله العلايلى ، إعـــداد وتصنيـــف يوســـف خياط، المجلد الأول ، ص٥١٣ ، ٥١٤ بتصرف.

[2] أخرجه الجماعة : البخارى ١٤٧/٣ و١٤٨ فى الجنائز ، باب السرعة بالجنازة ، مســـلم ٩٤٤ فى الجنائز ، باب الإسراع بالجنازة، مالك فى الموطأ ٢٤٣/١ باب جامع الجنائز ، أبـــو داود ٣١٨١ فى الجنائز ، باب الإسراع فى الجنازة ، الترمذى ١٠١٥ فى الجنائز باب ما جاء فـــى الإسراع بالجنازة ، والنسائى ٤٢/٤ فى الجنائز ، باب السرعة بالجنازة.

لذا ذهب الجمهور إلى الإسراع بالجنازة مستحب . وقال ابن حزم بوجوبه . وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المستحب التوسط لحديث أبـي موسـى : مـرت برسول الله -صلى الله عليه وسلم- جنازة تمخض مخض الزق[٣]. فقال رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- عليكم القصد .

والمشى مع الجنازة سُنّة كذلك حملها ، والمشى مع الجنازة يكون أمامـها أو خلفها أو عن يمينها أو عن يسارها قريبا منها . وقد ورد ما يلى بالموطـأ ص١٥٦. حدثنى يحيى بن مالك ، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكـر ، وعمـر ، كانوا يمشون أمام الجنازة . والخلفاء هَلُمَّ جَرّا . وعبد الله بن عمر. [٤].

وهلم جرا : أى ممتدا إلى هذا الوقت الذى نحن فيه، مأخوذ من أجـررت الدَّيْن إذا تركته باقيا على المديون . أو من أجررته الرمح إذا طعنته وتركـت فيـه الرمح يجره. وحُدث عن مالك عن ابن شهاب ، أنه قال . المشى خلف الجنازة مـن خطأ السنة[٥].

---

[٣] تمخص مخض الزق : تشبيه لسير الناس فى الجنازة واندفاعهم بها بالماء ويكون فـى الـزق وهو وعاء من جلد للماء.

[٤] قال ابن عبد البر : هكذا هذا الحديث فى الموطأ ، مرسل عند رواته . وقد أخرجه موصـولا عن ابن عمر : أبو داود فى ٢٠ كتاب الجنائز ، ٤٤ باب المشى أمام الجنازة ، والترمذى فـى ٨ كتاب الجنائز ، ٢٦ باب ما جاء فى المشى أمام الجنازة ، والنسائى فى ٢١ كتاب الجنـائز ٥٦ باب مكان الماشى من الجنازة ، وابن ماجه ، فى ٦ كتاب الجنائز ١٦ باب ما جـاء فـى المشى أمام الجنازة .

[٥] (من خطأ السنة) أى من مخالفتها

ما يكره فى الجنائز وما يحرم :

أ- ما يكره :

يكره الركوب حين تشيع الجنازة ،فثوبان قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرأي ناسا ركبانا فقال: ألا تستحيون ؟ إن ملائكة الله على أقدامهم ، وأنتم على ظهور الدواب[٦]. وعن ثوبان أيضاً أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أُتِي بدابّة فركب فقيل له . فقال : إن الملائكة كانت تمشى فلم أكن لأركب وهم يمشون فلما ذهبوا ركبت .

ب- ما يحرم :

١- يحرم النعى فى الجنائز :

والنعى هو الإخبار بالموت على أبواب الدور والأسواق . لكن يجوز الإخبار بالموت للاشتراك فى الغسل والتكفين والصلاة على الجنازة كما نعى النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس النجاشى وشهداء مؤتة .

وقد نهى النبى -صلى الله عليه وسلم- عن النعى ، فعن ابن مسعود عن النبى -عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام- أنه قال : " إياكم والنعى فإن النعى من عمل الجاهلية[٧].

---

[٦] أخرجه الترمذى ٨ كتاب الجنائز ٢٨ باب ما جاء فى كراهية الركوب خلف الجنازة ح ١٠١٢وابن ماجه فى ٦ كتاب الجنائز ١٥ باب ما جاء فى شهود الجنائز ح ١٤٨٠ .

[٧] لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة أحد سوى الترمذى فى ٨ كتاب الجنائز ١٢ باب ما جاء فى كراهية النعى .. ح ٩٨٤.

٢- ويحرم كذلك النياحة على الميت:

والنياحة عبارة عما تفعله النسوة حيث تقودهن واحدة تنوح وتصرخ وتهيج مكامن الدمع وتثير الأحزان بشيء من التهويل والمبالغة فترد عليها بقية النساء صاخبات باكيات ناحبات.

فعن على بن ربيعة الأَسْدِى قال : مات رجل من الأنصار يقال له قَرَظَةُ ابن كعب فنيح عليه . فجاء المغيرة بن شعبة فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال النوح فى الإسلام ! أما إنى سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : " من نيح عليه عُذِّب بما نيح عليه"[٨]. وقال أبو عيسى : حديث المغيرة حديث غريب حسن صحيح .

وقد نوعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النائحة فى الحديث التالى: الذى رواه أبو مالك الأشعرى " النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطْران ودِرْعٌ من جَرَبٍ[٩] والسربال القميص.

٣-ويحرم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بما لا سند له من الدِّين:

فعن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "ليس منا من شق الجيوب ، وضرب الخدود ، ودعا بدعوة الجاهلية " وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[١٠].=

---

[٨] أخرجه البخارى فى ٢٣ كتاب الجنائز ٣٤ باب ما يكره من النياحة على الميت ح ٦٨٧ ومسلم فى ١١ كتاب الجنائز ، ح٢٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى والترمذى فى ٨ كتاب الجنائز ٢٣ باب ما جاء فى كراهية النوح ح١٠٠٠.

[٩] الحديث صحيح أخرجه أحمد فى المسند ومسلم فى صحيحه (مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى ص٣٣٢ جـ٢).

دفن الميت:

يجب مواراة جيفة الميت فى حفرة عميقة حتى لا تنبش السباع قبره، ولا بأس بالضريح أو اللحد- واللحد أولى- لأن اللحد أقرب من إكرام الميت ، وإهالة التراب على وجه الميت من غير ضرورة سوء أدب ودليله أن أبا عبيدة كان يضرح. وأن أبا طلحة كان يلحد. وعلى المسلمين أن يتولوا دفن من يروه من الموتى عرفوه أو لم يعرفوه ، فإن لم يفعلوا فهم آثمون[١١]، وإن قام به البعض سقط الإثم عن الباقين[١٢]. فقد ذكر لعمر أن امرأة توفيت في البيداء فجعل الناس يمرون عليها ولا يدفنونها، حتى مر عليها كليب بن بكر الليثى فدفنها ، فقال عمر : إنى لأرجو لكليب بها خيرا ، قال : فسأل عمر عنها عبد الله بن عمر - يعنى ابنه- فقال عبد الله لم أرها ، فقال : لو رأيتها ولم تدفنها لجعلتك نِكالا[١٣]. ثم قام عمر بين ظهرانى الناس فتغيظ عليهم فيها[١٤].

كيفية إدخال الميت القبر :

يُدخَل الميت، من مؤخرة القبر ويوضع على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة، ولا يرفع القبر زيادة عن شبر.ويستحب لكل من حضر الدفن حثو ثلاث حثيات من التراب.

=[١٠] أخرجه البخارى فى ٢٣ كتاب الجنائز ٣٦ باب ليس منا من شق الجيوب ، ح ٦٨٨ ، مسلم فى ١ كتاب الإيمان ح ١٦٥ ، الترمذى فى ٨ كتاب الجنائز ٢٢ باب ما جاء فى النهى عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة .

[١١] موسوعة فقه عمر بن الخطاب - د. محمد رواس قلعه جى.

[١٢] المرجع السابق.

[١٣] عبد الرازق ٥٤٨/٣ .

[١٤] سنن البيهقى ٣٨٦/٣.

ويعد رفع القبور من المنكرات فى الشريعة الإســـلامية ويجـــب تســـويتها وحفظـا لتماسك بِنْية المجتمع ، يجب ألا يقوم الأفراد بذلك وتـــرك هـــذا الإجـــراء للحاكم وأجهزته المنوطة بذلك ليتم بالطريقة المرتآة بما لا يؤثر على درجة ترابـــط المجتمع وتماسكه .

ويجب تسوية القبور بالأرض لا فرق بين نبى أو غير نبى وصالح أو طالح فقد مات جماعة من أكابر الصحابة فى عصره -صلى الله عليه وسلم- فلـــم يرفـــع قبورهم بل أمر عليا بتسوية المشرف منها ومات -صلى الله عليه وسلم- ولم يرفـــع قبره أصحابه ، فعن أبى وائل ، أن عليا قال لأبى الهَيَّاج الأسَدِىّ : أبعثك على مـــا بعثنى به النبى -صلى الله عليه وسلم- : " أن لا تَدَع قبرا مُشْرِفا إلا ســـويته ، ولا تمثالا إلا طمسته[١٥]، وقال أبو عيسى : حديث علىّ حسن ، والعمل على هذا عنـــد بعض أهل العلم ، يكرهون أن يرفع القبر فوق الأرض . وقال الشافعى : أكـــره أن يرفع القبر إلا بقدر ما يعرف أنه قبر، لكيلا يُوطأ ولا يجلس عليه[١٦].

وكان من آخر قول النبى -صلى الله عليه وسلم- :"لعن الله اليـــهود اتخـــذوا قبور أنبيائهم مساجد . فعن أنس -رضى الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وســـلم- نهى عن الصلاة على القبور والحديث صحيح[١٧].

---

[١٥] أخرجه مسلم فى ١١ كتاب الجنائز حديث رقم ٩٣ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى) ، أبـــو داود فى ٢٠ كتاب الجنائز ٦٨ باب فى تسوية القبر ، حديث ٣٢١٨ والترمذى فى ٨ كتاب الجنـــائز ٥٦ باب ما جاء فى تسوية القبور ح ١٠٤٩.

[١٦] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى . طـــ دار الحديث بالقاهرة ، المجلد الثالث ص٣٦٧.

[١٧] رواه ابن حبان فى صحيحه .

عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال :
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أُذِن لمحمد فى زيارة قبر أمه . فزوروها ، فإنها تُذكِّر الآخرة[١٨]. وقال أبو عيسى : حديث بريدة حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأسا . وهو قول ابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحق .

وزيارة القبور مشروعة للرجال مختصة بهم ، لكنها تمنع بالنسبة للنساء اللواتى ينحن.. أما النساء اللواتى لا يفعلن ذلك فقد أذن لهن بزيارة القبور ، ودليل ذلك ما روته السيدة عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت : يارسول الله كيف أقول إذا زرت القبور ، قال : قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين " وروى الحاكم أن فاطمة -رضى الله عنها – كانت تزور قبر عمها حمزة كل يوم جمعة .

كيفية زيارة القبور :

زائر القبر يجب أن يقف مستقبلا القبلة اقتداء بالرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- حيث جلس مستقبل القبلة عندما خرج إلى المقبرة . وكان يقول عند زيارة القبور: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية .

حكم من يتخذ القبور مساجد :

يحرم اتخاذ القبور مساجد . ودليل ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- "لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " وفى لفظ " قاتل الله اليهود"[١٩]. وفى لفظ " لا تتخذوا قبرى مسجدا " وفى لفظ آخر " لا تتخذوا قبرى وثنا ". واتخاذ

---

[١٨] أخرجه مسلم فى ١١ كتاب الجنائز ، ح ١٠٦ ، والنسائى فى ٢١ كتاب الجنائز ١٠٠ باب زيارة القبور،الترمذى ٨ كتاب الجنائز ٦٠ باب ما جاء فى الرخصة فى زيارة القبور،ح١٠٥٤

[١٩] أخرجه البخارى و أبو داود عن أبى هريرة والحديث صحيح.

القبور مساجد أعم من أن يكون بمعنى الصلاة إليها أو بمعنى الصلاة عليها . وفـــى صحيح مسلم:قال أبو مرثد : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " لا تجلسوا على القبور ولا تُصلُّوا إليها [٢٠]. والحديث صحيح.

وأما من اتخذ مسجدا فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا لتعظيـم له ولا لتوجه نحوه فهو كما يقول البيضاوى لا يدخل فى هذا الوعيد .

لماذ النهى عن اتخاذ القبور مساجد ؟

النهى عن اتخاذ القبور مساجد سدّ للذريعة والبعد عن التشبه بعبدة الأوثـــان التى تعظم الجمادات التى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ، ولِمَا فى إنفاق المـــال مـــن العبث والتبذير الخالى مطلقا عن النفع ولأنه سبب لايقاد السُّرُج (المصابيح) عليـــها الملعون فاعله.

فعن ابن عباس قال : لعن رسول الله -صلى الله عليـــه وســـلم- زائـــرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج.

زائرات القبور : أمرن بالقرار فى بيوتهن[٢١].

المتخذين عليها المساجد : صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه شرك.

والسرج : تضييع للمال بلا فائدة .

وفيما يلى بعض الخطوات المتبعة فى الجنازة والتى تركز علــــى الجـــانب الفقهى والإجرائى فيها[٢٢]

---

[٢٠] والحديث أخرجه أحمد فى مسنده ، والبخارى ومسلم وأبى داود . وقد ذكر مختصـــر شـــرح الجامع الصغير للمناوى جـ٢ ص٣٥٥ (حم م ٣) .

[٢١] والحديث رواه ابن عباس فى الحاكم .

١- الدعاء بطلب الموت فى بلد شريف :

كان عمر يدعو الله تعالى طالبا الشهادة فى سبيله وفى المدينة المنورة فكان يقول : اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك(٢٣).

وكان عمر يعلم أنه فى عداد الشهداء ولا بد ، لأنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول لجبل أحد حين رجف: " اثبت أحد فإنما عليك نبى وصِدِّيق وشهيدان "(٢٤). وكان مع رسول الله أبو بكر وعمر وعلى ، ولذلك كان يدعو الله تعالى أن لا يجعل قتله بيد مؤمن فيقول: " اللهم لا تجعلى قتلى بيد رجل صلى لك سجدة واحدة يحاجّنى بها عندك يوم القيامة "(٢٥).

٢- ما يفعل بالمحتضَر :

إذا حضرت المريض الوفاة فيستحب :

أ- توجيهه إلى القبلة : قال عمر لابنه : فإذا حضرت الوفاة فاحرفنى(٢٦)-يعنى إلى القبلة-

ب- تلقينه شهادة أن لا إله إلا الله وقراءة القرآن عنده . قال عمر: احضروا موتاكم وذكروهم لا إله إلا الله(٢٧) ،وفى رواية : واقرؤوا عندهم القرآن .

---

(٢٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، د. محمد رواس قلعه جى ص ٦٢١.

(٢٣) البخارى فى الجهاد ، باب الدعاء بالجهاد والشهادة ، والموطأ ٤٦٢/٢ وعبدالرازق ٢٦٢/٥ والمجموع ١٠٣/٥

(٢٤) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة فى مناقب عمر، وأبو داوود برقم ٤٦٥١ فى السنة ، باب فى الخلف، والترمذى برقم ٣٦٩٧ فى المناقب باب مناقب عثمان .

(٢٥) الموطأ ٤٦١/٢.

(٢٦) ابن أبى شيبة ١٤٢/١ب.

(٢٧) مصنف ابن أبى شيبة ١٤٢/١ وعبد الرزاق ٣٨٦/٣ والمحلى ١٥٧/٥.

٣- تغميض عينى الميت :

فإذا مات الميت أغمضت عيناه ، قال عمر : وأغمضوا أعينهم[٢٨]، وقال لابنه حين حضرته الوفاة : ادْنُ منى ، فإذا رأيت روحى قد بلغت لهاتى فضع كفك اليمنى على جبهتى واليسرى تحت ذقنى وأغمضنى[٢٩].

٤- وجوب تجهيزه ودفنه :

وعلى المسلمين أن يتولوا دفن من يروه من الموتى عرفوه أو لم يعرفوه، فإن لم يفعلوا فهم آثمون، وإن قام به بعض سقط الاثم عن الباقين . فقد ذكر لعمر أن امرأة توفيت فى البيداء فجعل الناس يمرون عليها ولا يدفنونها، حتى مر عليها كليب بن بكر الليثى فدفنها ، فقال عمر : إنى لأرجو لكليب بها خيرا ، قال ، فسأل عمر عنها عبد الله بن عمر -يعنى ابنه- فقال عبد الله لم أُرها ، فقال : لو رأيتها ولم تدفنها لجعلتك نِكالا[٣٠]. ثم قام عمر بين ظهرانى الناس فتغيظ عليهم فيها[٣١].

٥- تغسيله وتحنيطه :

ثم يغسل الميت ، ويتولى تغسيله من كان يدخل عليه من الرجال إن كان رجلا، ومن النساء إن كانت امرأة ، ولا يغسل الرجل زوجته لوقوع الفرقة بينهما بالموت ، فقد ماتت امرأة لعمر فقال لأهلها : أنا كنت أولى بها إذ كانت حية ، أما الآن فأنتم أولى بها[٣٢]. ثم يحنط ، ولا يحنط بالمسك ، لأن أصله دم، قال عمر: لا تحنطونى بمسك [٣٣].

---

[٢٨] ابن أبى شيبة ١/١٤٢ والمحلى ٥/١٥٧.
[٢٩] المغنى ٢/٤٥١.
[٣٠] عبد الرزاق ٣/٥٤٨.
[٣١] سنن البيهقى ٣/٣٨٦.
[٣٢] ابن أبى شيبة ١/١٤٣ والمغنى ٢/٥٠١.
[٣٣] ابن أبى شيبة ١/١٤٤.

٦- تكفينه :

ثم يكفن الميت ، فإن كان رجلا كفن فى ثلاثة أثواب ، وكرهت الزيادة على ذلك، قال عمر : يكفن الرجل فى ثلاثة أثواب ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[٣٤]. وقد كفن عمر لما استشهد فى ثلاثة أثواب ، ثوبين سحولين وثوب كان يلبسه[٣٥]. وإن كانت امرأة كفنت فى خمسة أثواب ، قال عمر: تكفن المرأة فى خمسة أثواب، فى المنطقة وفى الدرع وفى الخمار وفى اللفافة وفى الخرقة التى تشد عليها[٣٦].

٧- الجنازة :

أ - ويجوز للمسلم أن يخرج مع جنازة الكافر ، فعن أبى وائل قال: ماتت أمى وهى نصرانية فأتيت عمر، فذكرت ذلك له فقال : اركب دابة وسِرْ أمامها[٣٧].

ب - ولا يجوز للمرأة أن تخرج فى جنازة ميت أبدا ، فقد رأى عمر نساء مع جنازة فقال ارجعن مأزورات غير مأجورات، فوالله ما تحمِلْن ولا تَدفِن ياموذيات ومفتنات الأحياء[٣٨]، وقد أوصى عمر : لا تشيعنى امرأة[٣٩].

جـ- فإذا خرج الرجل فى الجنازة مشى أمامها لأنه هو الأفضل ، فعن أنس بن مالك وعبد الله بن عمر قالا : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمشى أمام الجنازة وأبو بكر وعمر[٤٠].

---

[٣٤] ابن أبى شيبة ١/١٤٤.
[٣٥] عبد الرزاق ٣/٤٢٥ والمحلى ٥/١١٩.
[٣٦] ابن أبى شيبة ١/١٤٤.
[٣٧] ابن أبى شيبة ١/١٥٢.
[٣٨] عبد الرزاق ٣/٤٥٧.
[٣٩] ابن أبى شيبة ١/١٤٦.

أما ما رواه عبد الرحمن بن أبزى قال : كنت مع عليّ فى جنازة ، وعليّ آخذ بيدى ونحن خلفها وأبو بكر وعمر يمشيان أمامها – فقال علي : إن فضل الماشى خلفها على الذى يمشى أمامها كفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ ، وإنهما ليعلمان من ذلك ما أعلم ولكنهما لا يحبان أن يشقا على الناس[٤١] فإنه ان صح فإنه معارض بما رواه ربيعة بن عبد الله بن الهدير قال: شهدت ابن الخطاب يضرب الناس يقدمهم أمام جنازة زينب بنت جحش[٤٢].

ولا يجوز أن يتبع الجنازة مجمر أو نار لأن هذا أمر يفعله الكفار وقد أمرنا بمخالفتهم ، قال عمر : لا تتبعونى بمجمر[٤٣].

ويستحب إسراع الخطى بها ، لأن صاحبها إن كان خيْرا عجلنا به إلى الخير ، وإن كان شرا تخلصنا منه، قال عمر لابنه حين حضرته الوفاة : إذا خرجتم فأسرعوا بى المشى[٤٤].

البكاء لدى الاحتضار رحمة :

روى أسامة بن زيد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب " قال فأرسلت

---

[٤٠] سنن الترمذى برقم ١٠٠٧ فى الجنائز باب المشى أمام الجنازة ، وسنن البيهقى ٢٤/٤ والمحلى ١٦٥/٥، والموطأ ٢٢٥/١، وابن أبى شيبة ١٤٥/١ب، وعبد الرازق ٤٤٥/٣ والمجموع ٢٨٣/٥ ، والمغنى ٤٧٢/٢.

[٤١] عبد الرزاق ٤٤٦/٣ وسنن البيهقى ٢٥/٤.

[٤٢] عبد الرزاق ٣/ ٤٤٥.

[٤٣] ابن أبى شيبة ١٤٤/١ والمجموع ٢٤١/٥.

[٤٤] ابن أبى شيبة ١٤٦/١.

إليه تقسم عليه ليأتينّها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد ابن ثابت ، ورجال فرفع إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- ونفسه تتقعقع كأنها شنّ ففاضت عيناه ، فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

أضواء حول الحديث :

(القعقعة): حكاية صوت الشيء إذا حرك .

(الشّنّ): القربة الخلقة اليابسة أى إن نَفَسَه تتحرك وتضطرب ويسمع صوتها كأنها فى حال اضطرابها شنّ جافة.

(رحمة جعلها الله فى قلوب عباده) : أى هذه الدموع الفائضة هى من آثار الرحمة أى والذى يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمدلا يؤاخذ عليه .

(الرحماء): جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة ومقتضاه أن الرحمة مختصة بمن اتصف بالرحمة الفائقة وتحقق بها دون ما فيه رحمة ما . لكن ثبت فى بعض الروايات :

(الراحمون يرحمهم الرحمن) والراحمون جمع راحم فيدخل فيه كل من فيه أصل الرحمة ، والله تعالى أرحم .

وسبب هذا الحديث:أن زينب ابنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -رضى الله عنها- أرسلت إليه تقول : إنّ ابنى يُقبض . فأرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهذا الخبر.

وهذا الحديث يعبر بصدق عن هدى الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- فيما يجب أن يتبعه المسلمون فى تشييع الجنائز وعند حضور المُحتضَر إذ لا بد من

الوفاء بواجبات والتزام آداب فى بلاد المسلمين عندما تحضر الوفاة أحدهم ، فلا بد من الصبر لأهل الميت وعدم الجزع واحتساب الفقيد عند الله ، كما يشير هذا الحديث إلى هديه -صلى الله عليه وسلم- فى حضور الجنائز بنفسه ، بل تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه والدعاء للميت ولأهله ، كما يشير الحديث الشريف إلى وجوب اجتماع أقارب الميت من الرجال كذلك تشييع المسلمين للجنازة لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد حضر وجماعة من أصحابه . ونحن نَقْتدى به فى كل أفعاله قدر استطاعتنا. ولا بد من الترفق بالميت لأنه أحوج ما يكون إلى الرحمة .

كما يشير الحديث الشريف إلى حقيقة مؤداها أن الموت حتما مدركنا لا يفلت منه أحد مهما كانت الحال. قال تعالى :﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُم فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ** ﴾ [٤٥].

ونحن إن فكرنا فى الموت وشدائده هانت علينا شدائد الدنيا ، فما هى شدائد الموت ؟.هى :

١- شدة الموت وما فيه .
٢- شدة الغُسْل والكفن والحمل على الأعناق.
٣- شدة دخول القبر وما فيه .
٤- شدة سؤال الملَكين.
٥- شدة القيام من القبور للحشر يوم القيامة .
٦- شدة الحساب وصفة أهل المحشر .
٧- شدة وزن الأعمال .
٨- لحظة استلام الكتاب إما باليمين وإما بالشمال.

---

[٤٥] سورة النساء : الآية٧٨.

٩- شدة النار وما فيها من أهوال لا يعلمها إلا علام الغيوب . إنـــها أى لحظة الموت وما فيها من شدائد يشيب لأجلها الوِلْدان.

وقوله -صلى الله عليه وسلم- :" كل شيء عنده بأجل مسمى " عرض لحقيقة أن الإنسان كسائر الكائنات حياته فى الدنيا محددة وموقوته فهو غير مخلد فيها بـــل يدركه الموت . فما الموت ؟ هو مخلوق خلقه الله بقدرته . قال تعـــالى:﴿ تَبَـارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٤٦]. والموت انعدام الحياة قبل وجودها وهو انعـــدام الحيـــاة بعـــد وجودها ، والموت ضد الحياة ، والحياة تعلق الروح بالبدن. قال تعـــالى:﴿ كَيْـفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..﴾[٤٧].

ومفهوم الحديث أننا معشر البشر مخلوقون لحكمة وهدف والله بقدرته قـــدّر آجالنا ولا نستطيع التعجيل أو التأخر عن هذا الموعد ، وتعد أرواحنا كودائع أودعها الله الأبدان فإذا ما أراد سبحانه استرداد الوديعة فله ما يشاء بأمر – كُن – فيكـــون. وجملة الرسول -صلى الله عليه وسلم- "كل شيء عنده بأجل.." من قبيـــل الإيمـــاء والإشارة إلى بث العزاء والسلوى وبث الصبر فى نفوس المحزونين والرضا بقضاء الله وقدره ذلك هو الإيمان، وقوله : فرفع إليه ونفسه يتقعقع) : يشير إلى ما يعانيـــه المحتضر عند خروج روحه إلى خالقه وما يشعر به عندما يلم به نزع الروح : فـإن الميت يشعر بالألم ينزل بالروح المبثوثة فى جميع أعماق البدن ، فالروح منزوعـــة ومجذوبة من كل عرق من العروق ومفصل من المفاصل وعصب من الأعصـــاب حل بها الموت فى كل شعرة وبَشَرة من الرأس إلى القدمين.

---

[٤٦] سورة الملك : الآيتان ١، ٢

[٤٧] سورة البقرة: الآية ٢٨

ولذلك المضروب يستغيث لبقاء قوته فى عقله وقلبه ولسانه . ولكن الميت لا يصرخ ! لماذا ؟ لأن الموت صعد إلى العقل فغشيه وغيّبه ، وجـاء إلـى البصـر فأعماه وأرهبه وجاء إلى اللسان فأخرسه وأسكته وجاء إلى اللون فغيره وأصفـره، وارتفعت الحدقتان إلى أعلى الأجفان وتقلصت الشفتان ، سكرة بعد سكرة ، ونزعـة بعد نزعة وجذبة بعد جذبة ، جعلت أفضل خلق الله -صلى الله عليه وسلم- سـيدنا محمد وهو على فراش الموت يمد يده إلى قدح فيه ماء ويمسـح جبينـه ويقـول : سبحان الله إن للموت لسكرات ، فإذا كان للموت سكرات مع أفضل خلق الله سـيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فما بالك معنا نحن ؟!!. فلتصبر ولتحتسب (كيف)؟ بأن تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، لله ما أخذ وله ما أعطى .

وقد أرسلت السيدة زينب إلى النبى الكريم -صلى الله عليه وسـلم- ليحضـر ابنها المحتضر لأن هذا سنة الإسلام حيث يتم إعلام أهل الميت وأقربائه ليحضـروه ويدعون حيث تُؤمِّن الملائكة دعاءهم ، ثم الرجال هم الذين يحضرون الميت لتذكيره الله وتلقينه الشهادة ويتولون تغميضه وإغلاق فمه كى لا يدخل فيه ماء الغسل. ثـم يبدلون ثوب الميت حتى لا يؤذيه ثم يغسل بسدر وكافور ويغطى من فوق الـرأس إلى أسفل الرجلين حيث جسم الميت كله عورة ، ويستوى فى ذلك الرجال والنسـاء. ثم يوجه جهة القبلة بحيث تكون رجلاه متجهتان جهة القبلة بحيث لواعتدل من نومه لاستقبل بوجهـه القبلـه ويحمـل الميـت برفـق ويصلـى عليـه ويدعـى لـه بالمغفرة والرحمة.

وفى الإسلام يجب ألا تحضر النسوة الجنائز ولا يشيعنها لأن منـهن مـن تدعو بدعوى الجاهلية عند خروج الروح ومنهن من تكون غير طاهرة (بجنابـة أو حيض أو نفاس .. ونحو ذلك) ، ومنهن من تنوح وتلطم الخدود وتشق الجيوب.

وأرسلت زينب للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- امتثالا لأمره وطاعة لِهَدْيِه وهو - عليه الصلاة والسلام- أبوها والميت قريبه بل هو جدّه ففاضت عيناه بمعنى أنه بكى من أثر ما يراه من شدة سكرات الموت وشدته على الصبى. والبكاء مسموح به على الميت لأنه لا إرادى أما النواح ولطم الخدود وشق الجيوب فمَنْهِيٌّ عنه،لذا فهو محرم .

ويستفاد من الحديث السابق ما يلى :

١- وجوب الإيمان بقضاء الله وقدره والاعتقاد بأننا لا شك ميتون، ولا نملك رد القضاء لأنه نافذ.

٢- عدم الجزع لفقد الأحبة والأهل والإخوان ووجوب الصبر،والدعاء لهم بالرحمة،وأننا ودائع ولا بد يوما ما ترد الودائع.

٣- من آداب الجنائز إعلام الأهل والأقارب بموت أقربائهم ووجوب حضورهم والقيام بواجبهم نحو ميتهم من دعاء له ولأهله وتغسيله وتلقينه الشهادة والصلاة عليه ، ومن قبل الإسراع بقضاء دينه إن كان مدينا.

٤- أن للموت شدائد يعانيها المحتضر منها جذب الروح وسكرات الموت.

٥- أن البكاء مسموح به على الميت لأنه لا إرادى ومن آثار الشفقة والرحمة وإنما يحرم النواح ولطم الخدود وشق الجيوب.

٦- أن المُتَوَفَّى يجب أن يسلك كل من حوله سلوكيات تتصف بالرفق والرحمة فى تغيير ملابس موته وتغسيله وحمله فى سريره والدعاء له بالرحمة ولأهله بالخير والصبر والسلوان.

٧- لنا فى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القدوة والمثل الصالح الأعلى فى هديه وفيما يتعلق بأدب الجنائز.

٨- أن يحضر تشييع جنازة الميت وتجهيزه أكبر عدد من الرجال المســـلمين لأن هذا واجب إسلامى لما فى ذلك من عظات وعبر ، وأن يدعو له حيث تؤمن الملائكة على أدعيتهم .

٩- منع النساء من حضور الجنائز وتشييعها لما يبدر منهن من صراح ونواح ولطم وشق للجيوب ومنعهن من القيام بواجبات تغسيل ميت الرجال.

تراجـــم الرواة

أسامة بن زيد :

أسامه بن زيد بن حارثه بن شراحيل بن عبد العـــزى ، المولـــى الأمـــير ، الكبير ، حِبّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومولاه وابن مولاه (أبو زيد) ويقـــال (أبو محمد) ويقال (أبو حارثة) وقيل (أبو يزيد) .

أمه أم أيمن حاضنة النبى -صلى الله عليه وسلم- فهو وأيمـــن أخـــوان لأم . وروى أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : "إن أسامة بن زيد لأحب الناس إلىّ. أو من أحب إلىّ ، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم ، فاستوصوا به خيرا " واســـتعمله النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن ثمانى عشر سنة . عن ابن عباس عن ذَرِيـــح عن البهى عن عائشة قالت : عثر أسامة بأسْكُفَّةِ الباب [أى عتبته] فشُجَّ فى وجهه ، فقال لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " أميطى " [أى أزيلى ما علـــى وجهـــه] عنه، فكأنى تقذرته ، فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمُصُّه ثم يمجه . وكان يقول : " لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى يَنْفَقَ [= يبرأ].

أَمَّره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على جيش لغزو الشام وفى الجيـــش عمر وكبار الصحابة، فلم يسر حتى تُـــوُفِّيَ رسول الله -صلى الله عليـــه وســـلم-

فأغاروا على " أُبْنَى " ناحية " البلقاء" . وقيل إنه شهد " مؤتة" مع والده ، وقد سكن " المزة " -[وهى الآن فى ضواحى مدينة دمشق] - مدة ثم رجع إلى المدينة ، فمات بها . وكان النبى -صلى الله عليه وسلم- يحبه حبا عظيما، حتى أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يأخذه والحسن ويقول: " اللهم إنى أحبّهما فأحبهما" [٤٨]. ولم يخض فى الفتن الأولى التى حدثت بين الصحابة ، ولزم بيته . وكان سيدنا عمر -رضى الله عنه- يكنّ له كل احترام وتقدير.

حدث عنه : أبو هريرة ، وابن عباس ، وأبو وائل، وأبو عثمان النهدى ، وعروة بن الزبير... وغيرهم . وله فى كتب الحديث١٢٨حديثا.

توفى :فى آخر خلافة معاوية -رضى الله عنه-.

ثوبان بن بُجْدُد:

ثوبان ، مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .وهو ثوبان بن بجدد وقيل: ابن جحدر، يكنى أبا عبد الله ، وقيل أبو عبد الرحمن ، والأول أصح ، وهو من حِمْيَر من اليمن ، وقيل هو من السراة ، موضع بين مكة واليمن ، وقيل : هو من سعد العشيرة من مذحج ، أصابه سبا ، فاشتراه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأعتقه ، وقال له : " إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم ، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت" فثبت على ولاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يزل معه سَفَرا وحَضَرا إلى أن تُوفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة وابتنى بمصر دارا ، وبحمص دارا، وتوفى بها سنة أربع وخمسين ، وشهد فتح مصر.

---

(٤٨) أخرجه البخارى ٧٠/٧ فى فضائل أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- .

روى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أحاديث ذوات عدد، روى عنه شداد ابن أوس، وجُبير بن نُفَير وأبو إدريس الخولانى ، وأبو سلام مَمْطور الحبشى، ومعدان بن أبى طلحة ، وأبو الأشعث الصنعانى ، وأبو أسماء الرَّحَبى ، وأبو الخير اليَزَنى وغيرهم .

عن ثوبان عن رسول -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : " إن حوضى كما بين عدن إلى عُمَان أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وأطيب رائحة من المسك، أكاويبه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأكثر الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين ، قلنا : من هم يارسول الله ؟ قال : الشعثة رءوسهم ، الدنسة ثيابهم ، الذين لا ينكحون المُتَنَعِّمات ولا تُفتح لهم السُّدَد[٤٩]. الذين يُعطُون الذين عليهم ولا يُعْطَون الذى لهم .

على بن ربيعة الأسدى:

ذكره أبو أحمد العسكرى فى بنى أسد بن خزيمة فى الصحابة وأشار ابن الأثير إلى ذلك فى موضعين أحدهما أنه أسدى بسكون السين من الأزد والسين مبدلة من الزاى والثانى أنه تابعى فإنه أورد له من طريق محمد بن بكر عن ابن جريج أن عليا الأسدى أخبره أن النبى -صلى الله عليه وسلم- كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا الحديث (قلت) وفات ابن الأثير ذكر وهم ثالث وهو تصحيف اسمه وإنما هو على وإنما تثبت الألف لكون الاسم وقع بعد أن وعلى الأزدى هذا هو على بن عبد الله البارقى مشهور فى التابعين معروف بروايته لهذا الحديث عن ابن عمر .

---

[٤٩] أى لا تفتح لهم الأبواب .

أخرجه أحمد أيضا والحاكم والدارمى وابن حبان أيضا من طريق حماد بن سلمة عن أبى الزبير كذلك فاستيقظ ابن الأثير لتحريف النسب ولم يستيقظ لكون الحديث مرسلا والراوى تابعى لا صحابى ولا يكون اسمه تصحف ومشى ذلك على الذهبى فلم ينبه على صوابه .

وقد أخرج ابن عدى فى الكامل هذا الحديث فى ترجمة على بن عبد الله البارقى ووقع فى سياقه عن أبى الزبير أن عليا الأزدى أخبره أن ابن عمر علمه فذكر الحديث . والعجب من العسكرى حيث صنف فى التصحيف كتابين أكثر فيهما التشنيع على المحدثين وعلى الأدباء ثم تبع فى هذا التصحيف ، نسأل الله التوفيق(٥٠).

<u>أبو مالك الأشعرى :</u>

قدم فى السفينة مع الأشعريين على النبى -صلى الله عليه وسلم- ، له صحبة اختلف فى اسمه ، فقيل : كعب بن مالك . وقيل : كعب بن عاصم وقيل عبيد وقيل عمرو . وقيل الحارث . يعد فى الشاميين .

أخبرنا يعيش بن صدقة بن على الفقيه ، أخبرنا أبو القاسم وإسماعيل بن أحمد بن عمرو السمرقندى إملاءً، أخبرنا عبد الواحد بن على العلاّف، أخبرنا على ابن محمد بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور، أخبرنا عبد الرازق ، أخبرنا معمر، عن ابن أبى حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى مالك الأشعرى قال: كنت عند النبى -صلى الله عليه وسلم- فنزلت هذه

---

(٥٠) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ، المجلد الثالث ، ص ١٦٩ ، ترجمة ٦٨٠٥.

الآية:(يَاأَيُّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) . قال : إن لله عز وجل عبيدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، لقربهم ومقعدهم من الله عز وجل يوم القيامة .

وروى إسماعيل بن عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبى مريم عن أبيه عن جده قال: سمعت أبا مالك الأشعرى يقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى حجة الوداع ، فى أواسط أيام الأضحى : أليس هذا اليوم الحرام ؟ قالوا : بلى . قال: فإن حرمته بينكم إلى يوم القيامة كحرمة هذا اليوم . ثم قال: ألا أُنبئكم مَنِ المسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وأُنبئكم مَنِ المؤمن ؟ من أمنه المؤمنون على أنفسهم ودمائهم. المؤمن على المؤمن حرام، كحرمة هذا اليوم[٥١].

سليمان بن بريدة:

ابن الحصيب الأسلمى ، ولد هو وأخوه عبد الله بن بريدة فى بطن فى خلافة عمر ، وكان ابن عيينة يفضله على أخيه عبد الله.

روى عن: أبيه ، وعمران بن حصين ، وعائشة .

وعنه : علقمة بن مرثد، ومحارب بن دثار، ومحمد بن جحادة ، وجماعة . توفى سنة خمس ومائة – رحمه الله تعالى –.

أبو مرثد الغنوى:

اسمه كنّاز بن حصين بن يربوع بن طريف بن خرشه بن عُبيد بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان بن غَنْم بن غَنِىّ بن أعصُر بن سعد بن قيس عَيلاَنَ ،

---

[٥١] أخرجه الثلاثة ، أسد الغابة المجلد السادس . الشعب . ص٢٧٢.

وقيل كناز بن حصين بن يربوع [٥٢]. بن سعد بن طريف . وقيل : اسمه حصين بن كَنَّاز . والأول أشهر. وهو حليف حمزة بن عبد المطلب، وكان تِرْبَه . شهد هو وابنه مرثد بدرا . قتل ابنه مرثد يوم الرجيع فى حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومات أبو مرثد سنة اثنتى عشرة فى حياة أبى بكر -رضى الله عنه- ، وهو ابن ست وستين سنة.

أخبرنا أبو الفضل بن أبى الحسن المخزومى بإسناده عن أبى يعلى الموصلى قال: حدثنا العباس النَّرسِيّ ، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر عن بسر بن عبيد الله ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن واثلة بن الأسقع ، عن أبى مرثد الغنوى أنه قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : " لا تجلسوا على القبور ولا تُصَلُّوا إليها".

---

[٥٢] بن عمرو بن يربوع بن خرشه.



الغِيبة والنّميمة

الغِيبة والنميمة

اللغويات :

نمم : النمم : التوريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد. وقيل: تزيين الكلام بالكذب ، والفعل نَمَّ ينِمُّ ويَنُمُّ ، والأصل الضم ، ونمّ به وعليه نمًّا ونميمة ونميما . وقيل: النميم جمع نميمة بعد أن يكون اسما.

التهذيب : النميمة والنميم هما الإسم ، والنعت نمام ، وأنشد ثعلب في تعدية نم بعلى:

ونم عليك الكاشمون ، وقيل ذا ∴ عليك الهوى قد نم ، لو نفع النم

ورجل نموم ونمام ومِنَمٌّ ونَمٌّ أى قتات من قوم نَمِّين وأنماء

ونُمٍّ ، وصرح اللحيانى بأن نُمًّا جمع نموم ،وهو القياس ، وامرأة نمّة .قال أبو العباس: النمام معناه فى كلام العرب الذى لا يُمسِك الأحاديث ولم يحفظها من قولهم جلود نَمّة إذا كانت لا تمسك الماء . يقال : نمّ فلان ينم نمًا إذا ضَيَّع ولم يحفظها ، وأنشد الفراء :

بكَتْ من حديثٍ نمّه وأشاعه ∴ ولصّقه واشٍ من القوم واضع

ويقال للنمام : القتات ، يقال : قت إذا مشى بالنميمة . ويقال للنمام قَسَّاسٌ ودراج وغماز وهماز ومائس وممآس ، وقد ماس من القوم ونم . الجوهرى : نمّ الحديث ينِمه وينُمّه نما أى قَتَّه ، والإسم النميمة ، وقد تكرر فى الحديث ذكر النميمة، وهو نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر . ونم الحديث : نقه ، ونم الحديث إذا ظهر ، فهو متعدٍّ ولازم[1].

[1] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور تقديم عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خيلط ، المجلد الثالث (ص٧٢٤) بتصرف .

الغيبة : من الغيبوبة والغِيبة: من الاغتياب . واغتاب الرجل صاحبه اغتيابا إذا وقع فيه ، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بسوء ، أو بما يغُمُّه لو سمعه وإن كان فيه ، فإن كان صدقا ، فهو غيبة ، وإلا كان كذبا فهو البهت والبهتان ، كذلك جاء عن النبى -صلى الله عليه وسلم- ولا يكون ذلك إلا من ورائه ، والإسم الغيبة . وفى التنزيل العزيز :﴿ وَلَا يَغْتَب بَعْضكم بَعْضًا ﴾ [٢] أى لا يتناول رجلا بظهر الغيب بما يسوءُه مما هو فيه ، وإذا تناوله بما ليس فيه، فهو بهت وبهتان وجاء المَغْيَبَانُ ، عن النبى -صلى الله عليه وسلم- وروى عن بعضهم أنه سمع : غابه يغيبه إذا عابه ،وذكر منه ما يسوءُه .

ابن الأعرابى: غاب إذا اغتاب . وغاب إذا ذكر إنسانا بخير أو شر . والغِيبة : فعلة منه ، تكون حسنة وقبيحة . وغائب الرجل : ما غاب منه ، اسمٌ ، كالكاهل والجامل ، أنشد ابن الأعربى :

ويخبرنى،عن غائب المرءِ،هديُه ∴ كفى الهَدْىُ ، عما غيب المرءُ، مخبرا[٣].

معنى الغِيبة :

الغِيبة أن تذكر أخاك المسلم بما لو سمعه لكرهه. وهذا سلوك منهىٌ عنه شرعا بصريح النص القرآنى ونص حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد قال تعالى :﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [٤].

---

[٢] سورة الحجرات : الآية ١٢.

[٣] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور تقديم عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خيلط، المجلد الثانى، ص١٠٣٣، ١٠٣٤.

[٤] سورة الحجرات: الآية ١٢.

والغِيبة رذيلة من الرذائل وكبيرة من الكبائر لأنها استطالة [٥] في عِرض المسلم بغير حق . وقد نفّر سول الله -صلى الله عليه وسلم- منها وحذّر أهلها بسوء العاقبة كما أوحى له ربه بذلك .

فعن أبى المغيرة عن صفوان عن راشد بن سعد عن ابن جبير عن أنس عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: " لما عرج بى ربى -عز وجل- مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم . فقلت : مَن هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم [٦].

حكم غيبة المسلم :

أبدأ أولاً فى بيان الأحوال التى تباح فيها الغيبة ، وهذا هو المقصود بالغيبة الحلال.تباح الغيبة فى الأحوال **الستة الآتية:**

١- التظلم :

حيث يجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو الوالى أو الحاكم أو القاضى ممن له ولاية فيقول : ظلمنى فلان أو فعل بى كذا .

٢- الاستعانة على تغيير المنكر :

ورد العاصى إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا ، فازجره عنى ونحو ذلك ، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما .

---

[٥] استطالة:خوض.

[٦] أخرجه أبو داود .

٣- الاستفتاء :

فيقول للمفتى : ظلمنى أبى ، أو أخى ، أو زوجى ، أو فلان بكذا فهل لـه ذلك ؟ وما طريقى فى الخلاص منه ، وتحصيل حقى ، ودفع الظلم ، ونحو ذلـك ، فهنا جائز للحاجة ، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول : ما تقول فى رجل أو شخص، أو زوج كان من أمره كذا ؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين .

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصحيتهم .

٥- أن يكون مجاهراً بفسقه أو بِدْعته فيجوز ذكره بما يجاهر به.

٦- التعريف : فإذا كان الإنسان معروفاً بلقـب ، كـالأعمش ، والأعـرج والأصم والأعمى والأحول وغير ذلك جاز التعريف بها .

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء [٧] وأكثرها مجمع عليه ، ودلائلـها مـن الأحاديث الصحيحة مشهورة ، **ومن ذلك** :

حديث عائشة -رضى الله عنها – أن رجلا استأذن على النبى -صلـى الله عليه وسلم- فقال: " ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة " والعشيرة القبيلة. متفـق عليـه حيث أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى . والحديث بتمامـه : " اسـتأذن رجل على النبى -صلى الله عليه وسلم- فقال : " ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابـن العشيرة"فلما دخل ألان له الكلام . قلت : يارسول الله قلتَ الذى قلت ، ثم ألنت لـه الكلام،قال" أى عائشة،إن شر الناس من تركه الناس أو وَدَعَه الناس اتقاء فحشه[٨].

---

[٧] صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٥ ، ص١٤٢ ، ١٤٣ ، رياض الصالحين لأبى زكريا النووى بتصرف .

[٨] رواه البخارى فى الأدب ٦٠٥٤ ، باب ما يجوز من اغتياب أهـل الفسـاد والريـب ، الفتـح ٤٧/١٠ ، وفى أماكن أخرى فى الأدب وأبو داود فى الأدب باب (فى حسـن العشـرة) ٤:

وهناك بعض إيضاحات حول هذا الحديث :

- هذا الرجل هو مخرمة بن نوفل أو عيينة بن حصن وقد ورد ذكره فـــى المؤلفة قلوبهم .
- (أو) للشك وهى كلمة ذم عند العرب .
- النبى -صلى الله عليه وسلم- لاطف هذا المنافق قطعا للسانه ومـــداراة له، كحديث : أمرت بالمداراة كما أمرت بالفرائض ، ولأبـــى داود : إن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم .

حكمة تحريم الغيبة والنميمة :

تتجلى الحكمة البالغة لتحريم الغيبة والنميمة والبهتان شرعاً حين نســتهدى آيات الكتاب الكريم ، كلام رب العزة فى سورة النور – التى تعـــالج كثـيرا مــن القضايا الإنسانية وتحاول تنزيه الإنسان المسلم عن كل نقيصة وعيب ورذيلة تقوض بناء هذا المجتمع الإيمانى وتأتى على بنيانه حين ينقاد "فرد أو جماعـــة" للشـيطان فيزين له الهوى والرغبة فتستعبده غرائزه الحيوانية ويلهث باحثا عن المتع واللــذات المحرمة– ويرتكبون – حينئذ ما نهى الله تعالى عنه فيخرجون من حظيرة الإيمـــان إلى مستنقع الكفر والضلال.

ومن تلك القضايا التى تعالجها سورة النور قضية الزِّنـــا وقضيـــة قــذف المحصنات الغافلات لنرى من خلال قصة الإفك الشهيرة والتى استهدف القـــائمون بوقائعها وأحداثها محاربة الإسلام وضربه فى مقتل وبلبلة أفكار المسلمين بـــالطعن فى بيت النبوة باتهام إحدى زوجات النبى -صلى الله عليه وسلم- فى عِرضها .

= ٢٥١ ، والترمذى فى البر والصلة ١٩٩٦ ، باب ما جاء فى المداراة ٤: ٣٥٩ ، ومسلم فـــى ٣٤ كتاب الأدب (البر والصلة والآداب) ، ٢٢ باب مداراة من يتقى فحشه ، ح ٦٤٧٣.

لقد تزعم عبد الله بن أُبَىّ بن سلول ، وتولى الإفك ، وروّج له جماعة من المسلمين بما من شأنه أن يغرس الريبة بين المسلمين ، وعاش بيت النبوة شهرا كاملا فى حزن وألم نفسى . حتى نزلت الآيات القرآنية بتبرئة السيدة عائشة -رضى الله عنها- ولتؤكد عفافها وطهرها.

كما اشتملت الآيات على التهديد والوعيد عن الاستطالة فى أعراض المؤمنين والمؤمنات بغير الحق وشرعت فى إقامة الحد على الزناة ومن يقذفون المحصنات وهو الجَلْد . قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [٩].

والذين اخترعوا الكذب الصارف عن كل هداية بالنسبة لعائشة زوج النبى -صلى الله عليه وسلم- إذ أشاعوا حولها الإفك والكذب - هم جماعة ممن يعيشون معكم ، لا تظنوا هذه الحادثة شرا لكم بل هى خير لكم ، لأنها ميزت المنافقين من المؤمنين الخالصين ، وأظهرت كرامة المبرئين منها ، والمتألمين ، ولكل شخص من هذه الجماعة المتهمة جزاؤه على مقدار اشتراكه فى هذا الاتهام ، ورأس هذه الجماعة له عذاب عظيم لعظم جرمه . وكان مقتضى الإيمان أنكم عند سماع خبر التهمة أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا من العفاف والطهر وأن يقولوا فى إنكار : هذا كذب واضح البطلان ، لتعلقه بأكرم المرسلين وأكرم الصِّدِّيقات.

---

[٩] سورة النور : الآيات ١١، ١٢، ١٣.

هلا أحضر القائمون بالاتهام أربعة شهود يشهدون على ما قالوا؟ إنهم لم يفعلوا ذلك .. وإذا لم يفعلوا فأولئك فى حكم الله هم الكاذبون [١٠].

والذين جاءوا بالإفك جماعة من المؤمنين أربعة هم :

١-حسان بن ثابت .
٢- مسطح بن أثاثة - ابن خالة أبى بكر - رضى الله عنهما -
٣- حمنة بنت جحش .
٤- ورأسهم عبد الله بن أُبىّ بن سلول.

كما أن الخطاب فى كلمة (لا تحسبوه) موجه إلى أربعة أيضا هم :

١-سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- .
٢- أبى بكر الصديق -رضى الله عنه -.
٣- السيدة عائشة زوج النبى -رضى الله عنها-
٤- صفوان بن المعطل السُّلَمِىّ الذَّكْوَانى .

ولما نزلت براءة عائشة -رضى الله عنها - تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آياتها على المنبر [١١] ، ثم أمر بإقامة حد القذف على هؤلاء ، ثم تابوا وصاروا من أحسن المسلمين - رضى الله عنهم -.

ولما نزلت آيات البراءة قال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال فى عائشة ، وكان ينفق عليه لقرابته منه وفقره فأنزل الله تعالى : **﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ والسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى**

---

[١٠] المتخب فى تفسير القرآن الكريم - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط١٢ يناير ١٩٨٦.
[١١] سورة النور: عشر آيات بدءا من آية رقم ١١.

﴿ الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٢].

قال أبو بكر : بلى والله إنى أحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا [١٣].

توعد المغتاب النمام :

ولأن الغيبة والنميمة ينتج عنها الضرر للمسلمين سواء كان هذا الضرر ظاهرا أو خفيا فإن الله تعالى توعد من يقترف هذه الكبيرة بالطرد من رحمته تعالى.

حدثنا عبد بن حميد حدثنا زيد بن حباب العُكْلِيّ حدثنى أبو سلمة الكندى حدثنى فرقد السبخى عن مرة بن شراحيل الهمذانى وهو الطيب عن أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به" [١٤]. رواه الترمذى.

ومن مكر بمؤمن أو أضر به فى أى شىء فعليه لعنة الله وعقابه.

---

[١٢] سورة النور : الآية ٢٢.

[١٣] التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف – المجلد الرابع – ص١٩٢.

[١٤] التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف – المجلد الخامس– ص٢٣.

ويشير هذا الحديث الشريف إلى أن الإسلام مؤسس على قاعدة ألّا ضـــرر ولا ضرار ، بمعنى أن الأخوة الإسلامية تقتضى أن يسلم ويأمن كل مســلم أخــاه ، وألا يخذل أيهما الآخر بل يكون نعم العون والسند يرد عنه الشر والضرر .

ذم الغيبة :

نص الله تعالى على ذم الغيبة فى كتابه الكريم وشبه صاحبــها بــآكل لحــم الميته ، فقال تعالى :﴿..وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (١٥).

وعن أبى هريرة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " لا تحاســدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا (١٦)ولا يغتب بعضكم بعضا ، وكونوا عبــاد الله إخوانا (١٧).

وقال سليم بن جابر : أتيت النبى -صلى الله عليه وسلم- فقلت : علمنى خيرا أنتفع به فقال: " لا تحقرن من المعروف شيئا ولو تصبّ من دلوك فى إناء المســتقى وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتابه" (١٨).

---

(١٥) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(١٦) بحذف إحدى التاءين تخفيفا ولا تدابروا : أى لا تفعلوا ما يوجب البغض والتدابر.

(١٧) رواه البخارى فى الأدب ، ح ٦٠٦٦ باب " ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، الفتــح ١٠: ٤٨٤ ، مسلم ٣٤ كتاب الأدب (البر والصلة والآداب) ٩ باب تحريم التحاسد والتبـاغض والتدابر ح ٦٤٠٦ والترمذى ٢٨ كتاب البر والصلة باب ٢٤ ح ١٩٣٥ عن أنــس ، ونــص الحديث " لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أ، يهجر أخاه فوق ثلاث" وأبو داود فى الأدب ٤٩١٧ باب فى الظن ٤: ٢٨٠ ، وابــن ماجه فى الزهد ٤٢١٣ باب البغى ٢ : ١٤٠٩ ، فى الفتن ٣٩٣٣ باب حرمة دم المؤمن وماله ٢: ١٢٩٨.

(١٨) الترمذى ٢٨ كتاب البر والصلة باب ٣٦ ما جاء فى صنائع المعروف ح ١٩٥٦.

الغيبة الحرام :

ما سبق الحالات الست التى تعتبر فيه الغيبة حلالا أو مباحة وخلاف ذلك تعتبر حراما.

فعن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أنه قيل : يارسول الله : ما الغيبة ؟ قال: " ذكرك أخاك بما يكره " قيل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال:" فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه [١٩].

عقاب المغتابين:

غيبة المسلم من سلوكيات المنافق دون المؤمن لأن الإسلام ينهى المسلمين عن تجسس عيوب ومساوئ المسلمين ، ومن يفعل ذلك يكشف الله عيوبه ويجازيه بسوء صنيعه ويفضحه بكشف مساوئه فى بيته .

حدث عثمان بن أبى شيبة أخبرنا الأسود بن عامر أخبرنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبى برزة الأسلمى ،قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من اتبع عوراتهم يتّبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته[٢٠].

---

[١٩] أخرجه م، د ،ت ، مسلم فى٣٤ كتاب الأدب (البر والصلة والآداب) ،٢٠ باب تحريم الغيبة ح ٢٥٨٩ ، أبو داود كتاب الأدب ، ١ باب فى الغيبة ح ٤٨٧٤ (٤/٢٦٩) ، الترمذى كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى الغيبة ح ١٩٣٤ (٤/٢٩٠) ورواه النسائى فى التفسير فى الكبرى على ما جاء فى التحفة ١٠ : ٢٣٣ وأحمد فى المسند ٢/٢٣٠ -٣٨٤-٣٨٦-٤٥٨.

[٢٠] أخرجه أبو داود والترمذى بسند حسن – سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى ذى الوجهين ح ٤٨٨٠ ، جـ٤ وابن ماجه ، جـ٢ ، ص٣٦٥.

ويوضح الحديث أن من يبحث عن عـورات ويغشـيها فـإن الله يفضحـه ويكشف ستره جزاءً وفاقا.

النميمة وعقاب النمامين:

يعد الشرع النميمة عملاً محرماً لأنه إحدى الكبائر. والنمام معذب فى نـار جهنم وبئس المصير جزاء ما يثير من خصومات وعداوات ومشاحنات تفكك عـرى المودة والأخوة.

عن ابن سلام عن عبيدة بن حميد أبو عبد الرحمن عن منصور عن مجـاهد عن ابن عباس قال: خرج النبى -صلى الله عليه وسلم- من بعض حيطان المدينـة فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما . **فقال** : " يعذبان ، وما يعذبان فى كبيرة ، وإنه لكبير ، كان أحدهما لا يستتر من البول ، وكان الآخر يمشى بالنميمة . ثم دعـا بجريدة فكسرها بكسرتين أو اثنتين فجعل كسرة فى قبر هذا وكسرة فى قبر هـذا " ، وقال : " لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[٢١]. وفى رواية لمسلم (لا يستنزه) لأنها من التنزه ، وهو الإبعاد .

وقال الله تعالى فى كتابه الكريم : **﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾** [٢٢].

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "لايدخل الجنة قتات ، وقتات : من قت الحديث يقته قتا والرجل قتات أى نمام .

---

[٢١] رواه البخارى فى الأدب ٦٠٥٦ ، باب ما يكره من النميمة، الفتح ١٠: ٤٧٢ وأبو داود فـى الأدب ٤٨٧١ باب فى القتات ٤: ٢٦٨ والترمذى فى البر والصلة ٢٠٢٦ باب ما جـاء فـى النمام ٤: ٣٧٥ والنسائى فى التفسير فى الكبرى على ما جاء فى التحفة ٣: ٥٤.

[٢٢] سورة القلم : الآيات ١٠،١١،١٢.

قال ابن الأعرابى : هو الذى يسمع الحديث وينقله ، ووقع بلفظ(نمّام) فى رواية أبى وائل عن حذيفة عن مسلم .

وقال عياض : القتّات والنمام واحد ، وفرق بعضهم بأن النمام الذى يحضر القصة وينقلها والقتات الذى يتسمع من حديث من لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه .

هل الغيبة والنميمة متغايران أو لا ؟

الراجح التغاير وأن بينهما عموما وخصوصا من وجه ، لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد ، ولا يشترط ذلك فى الغيبة ، وامتازت الغيبة بكونها فى غيبة المقول فيه واشتركتا فيما عدا ذلك .

والحديث أخرجه البخارى فيما يكره من النميمة ومسلم فى الإيمان وأبو داود فى الأدب والترمذى فى البر والنسائى فى التفسير .

وقال الغزالى ما ملخصه : ينبغى لمن حملت إليه نميمة أن لا يصدق من نمّ ولا يظن بمن نمّ عنه ما نقل عنه ولا يبحث عن تحقيق ما ذكره له ، وأن ينهاه ويقبح له فعله ، وأن يبغضه إن لم ينزجر ، وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فينمه على النمام فيصير نماما .

قال النووى : وهذا كله إذا لم يكن فى النقل مصلحة شرعية ، وإلا فهى مستحبة أو واجبة لمن اطلع من شخص أنه يريد أن يؤذى شخصا ظلما فيحذره منه، وكذا من أخبر الإمام أو من له ولاية بسيرة نائبه – مثلا – فلا يمنع من ذلك[٢٣].

---

[٢٣] عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى شرح التجريد الصريح لأبى الطيب صديق بن حسن ابن على الحسينى القنوجى البخارى ، المجلد السادس، ط ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر ص١٥٥-١٥٦.

تصدق أبى ضمضم بعرضه :

المسلم عليه أن يسامح ويعفُوَ عمن اغتابه ، وهو مثاب على مسامحته إيـــاه، وهذا مندوب له امتثالا وطاعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفى هذا المعنـــى أسوق الحديث التالى :

عن عبد الله بن عجلان -رضى الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وســلم- قال : أيعجِزُ أحدُكم أن يكون مثل أبى ضمضم ؟ قالوا : ومن أبو ضمضم ؟ قـــال : رجل فيمن كان قبلكم كان إذا أصبح قال : اللهم إنى جعلت عِرضى لِمَن شـــتمنى . وفى رواية قال: اللهم إنى تصدقت بعِرضى على عبادك فليس علـــى أحـــد طلـــب الانتصار [٢٤].

مغبة الهمز واللمز :

لا بد من التأكيد على حقائق أن الهمز واللمز وسباب المؤمن فسوق وقتالـــه كفر وبهتان عظيم. كذا قذف المحصنات الغافلات والرشوة ، فمن يقترف ذنباً ممـــا سبق يُعَذَّب أشد العذاب فى وادٍ فى جهنم يقال له ويل .

وكثيرا ما يعمد الرجال إلى سب زوجاتهن وأصهارهن خاصة عند الخلافات وذلك نوع من إفشاء الأسرار وذكر للعيوب والمساوئ حرمه الله ســبحانه وتعـــالى ودعا إلى نبذه .

والمرأة أيضاً تلجأ إلى مثل هذا الأسلوب فتُفشِىَ أسرار زوجها وبيتها عندمـــا تنشب الخلافات الأسرية بينهما . والمرأة المسلمة لا تفعل ذلك ســـواء فـــى غيبـــة زوجها أو محضره ، وهى مطالبة بأن تحفظه وتكتم أسرار بيتها فلا تغضب الله فـــى

---

[٢٤] المرجع السابق ، المجلد الخامس ،ص٢٨- رواه أبو داود .

معصية زوجها فيما تغضبه لأنها مؤتمنة على بيتها وزوجها مسئولية أخلاقية واجتماعية ودينية.

قال تعالى:﴿ .. فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ.. ﴾ (٢٥).

حق المسلم على المسلم :

ومن حق المسلم على المسلم أن يرد غيبة أخيه المسلم . ولنا فى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة ، فقد رد غيبة مالك بن الدخشم وقال للقائل إنه منافق لا يحب الله ورسوله : " لا تقل ذاك" ورد معاذ بن جبل غيبة كعب بن مالك لما قال الرجل فيه عند النبى -صلى الله عليه وسلم- : حسبه النظر فى برديه والنظر فى عطفيه . فقال معاذ : بئس ما قلتَ ، والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا ، فسكت الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وعن أبى الدرداء عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : " من رد عن عِرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة (٢٦).

ويؤكد هذا الحديث الشريف على أن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يمنع عنه الغيبة إذا اغتابه أمامه أحد ، ويسلك الحديث فى ذلك مسلك الترغيب بوعد الله لمن يرد عن أخيه الغيبة بأن يرد الله عنه عذاب النار يوم القيامة .

ولقد استخدم أسلوب الشرط وما تعلق به من جزاء الشرط أو جوابه مؤديا الفكرة ومعبرا عن المعنى أدق تعبير ، ثم خصص الوجه ورد العذاب عنه لأن تعذيبه أشد فى الإيلام .

---

(٢٥) سورة النساء : الآية ٣٤.

(٢٦) البخارى فى الاستئذان ، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ، ومسلم فى البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعى ، والترمذى ٢٨ كتاب البر والصلة باب ٢٠ ما جاء فى الذب عن عرض المسلم ح ١٩٣١.

وفى الحديث الشريف ترهيب وتخويف للمتجاوزين حدود الله كالمغتابين وما ينتظرهم يوم القيامة من تعذيب وجوههم فى نار جهنم وعمد أسلوب الحديث إلى التذكير بأن واجب الإنسان أن يتزود للآخرة بصالح الأعمال وتقوى الله وذلك بنصرته أخاه المسلم وأن يدفع ويمنع غيبته ويزجر من يذكره بسوء.

كما يشير الحديث إلى أن الخوض فى أعراض المسلمين له حرمته وهو من الأعمال التى تغضب الله عز وجل ، فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

حديث غيرة النساء يعكر ماء البحر :

حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن سفيان حدثنى على بن الأقمر عن أبى حذيفة ابن اليمان عن السيدة عائشة -رضى الله عنها - قالت : قلت للنبى -صلى الله عليه وسلم- : حسبك من صفية كذا وكذا [٢٧] ، قال غير مسدد : تعنى قصيرة فقال: "لقد قلتِ كلمة لو مزج بها البحر لمزجته. قالت : وحكيت له إنسان [٢٨]. فقال: ما أحب أنى حكيت وإن لى كذا وكذا [٢٩] [٣٠].

---

[٢٧] كذا وكذا : أى يكفيك من عيوبها قصرها ، فقال : إنك قلت كلمة لو تجسم ذنبها ووضع فى البر لسود ماءه وأنتنه.

[٢٨] أى حقرته .

[٢٩] صحيح مسلم ج ١٥-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧.

[٣٠] الترمذى ٣٨ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٥١ ح ٢٥٠٢ ونص الترمذى : عن عائشة قالت : حكيت للنبى-صلى الله عليه وسلم- رجلا فقال : ما يسرنى أنى حكيت رجلا وأن لى كذا وكذا ، قالت : فقلت يارسول الله إن صفية امرأة وقالت بيدها هكذا كأنها تعنى قصيرة : فقال لقد مَزَجْتِ بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمُزج - عون المعبود . كتاب الأدب - باب=

سبب ورود الحديث :

بلغ من حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للسيدة عائشة -رضـــى الله عنها – أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لابنته فاطمة ، وقد أرسلتها زوجات النبى -صلى الله عليه وسلم- يسألن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العدل فى ابنه أبى قحافة أى التسوية بينهن فى محبة القلب . وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال : هـــل كان عليه السلام يميز فى المعاملة بين نسائه ؟ لا . فالنبى الكريم لم يكن ليسلك هـذا المسلك وكان عادلاً بينهن يعطى لكل حقها فيخصص لكل زوجـــة يومـــا للمبيـت ونحوه، لكن هناك فارق بين محبة القلب والأفعال، فالتسوية بينهن فى الأفعال، أمـــا محبة القلب فكان يحب السيدة عائشة أكثر منهن. وأجمع المسلمون على أن محبتـهن لا تكليف فيها ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى وإنما يؤمر بالعدل فى الأفعال.

فبِمَ أجاب النبى الكريم -صلى الله عليه وسلم- ابنته فاطمة رداً على رســـالة زوجاته؟ : – أى بنية . ألست تحبين ما أحب ؟ فقالت : بلى . قال : فأحبى هـــذه . فرجعت عائشة إليهن وأبلغتهن بهذا الجواب وبتلكم الرد فقلن لها : ما نراك أغنيــت عنا من شىء ، وطلبن منها أن ترجع إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- قــائلات: إن أزواجك ينشدنك العدل فى ابنة أبى قحافة . قالت فاطمة : والله لا أكلمه فيها أبـــدا. فأرسلت زوجات النبى -صلى الله عليه وسلم- زينب بنت جحـــش وهـــى إحـدى

= الغيبة ٤٠ ح ٤٨٦٥ حديث صحيح أخرجه الترمذى. سنن أبى داود – كتاب الأدب – باب فـى الغيبة ح ٤٨٧٥.

زوجاته -صلى الله عليه وسلم- ، وكانت تسامى عائشة - رضى الله عنـها - فـى المنزلة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت عائشة عنها : لم أر امرأة خـيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقـة وأشـد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تصدق به وتقرب به إلى الله ما عدا سورة مـن حـدة كانت فيها. قالت زينب مخاطبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما أرسلت بـه: يارسول الله إن أزواجك أرسلننى إليك يسألننى العدل فى ابنة أبى قحافـة ووقعـت زينب بالسيدة عائشة واستطالت عليها وعائشة ترقب ذلك وتنتظـر إذن رسـول الله وسماحه لها فى الانتصار لنفسها - وتحقق لعائشة ما أرادت ولم ينهها الرسول مـن أجل ذلك.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتبسم : إنها ابنة أبى بكـر . وقـول الرسول هذا يدل على كمال فهم عائشة وحسن نظرها . تقول عائشة: إن كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليتفقد يقول:أين أنا اليوم وأين أنا غـدا اسـتبطاء ليـوم عائشة.وقد روت عائشة شطراً عظيماً من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

أضواء حول الحديث :

(حسبك من صفية) : أى من عيوبها البدنية كذا وكذا : كناية عن ذكر بعض هذه العيوب ومنها أنها قصيرة. فقال: أى النبى -صلى الله عليه وسلم- (لو مـزج) بصيغة البناء للمجهول أى خلط بها أى على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعا.

(البحر): أى ماؤه .

(لمزجته): أى غيرته وأفسدته.

(وحكيت له) : أى للنبى -صلى الله عليه وسلم- ، وحكيت له: فعلـت مثـل فعله إظهارا للعيبة وتحقيرا له ، ويقال حكاه وحاكاه بمعنى وأكثر ما يسـتعمل فـى القبيح .

(ما أحب أنى حكيت إنسانا) : أى ما يسرنى أن أتحدث بعيبه أو ما يسرنى أن أفعل مثل فعله على وجه الانتقاص.

(وإنّ لى كذا وكذا) : أى ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا أى شيئا كثيرا على ذلك .

ويتناول هذا الحديث الشريف ظاهرة اجتماعية تكاد تكون عامة ولا يسلم منها إلا القليل من الناس وهى انتشار الغيبة والنميمة بين الناس وهما مرض اجتماعى خطير وخلق يصم المسلم بضعف الإيمان. وليعالج النبى الكريم هذه القضية فإنه -صلى الله عليه وسلم- يورد الخبر مدار نص الحديث وما وقع من السيدة عائشة- رضى الله عنها- من ذكرها لبعض العيوب البدنية للسيدة صفية -رضى الله عنهما- .

وجدير بالذكر أن ما بدر من السيدة عائشة فى حق السيدة صفية -رضى الله عنهما- واستطالتها فى عرضها كان بسبب الغيرة التى جبلت عليها النساء وصغر سن السيدة عائشة وحداثة عهدها بالشباب . أما الغيرة فلا عقاب عليها ، وأما صغر السن وحداثة العهد بالشباب فالفرصة لازالت سانحة للنصح والوعظ والإرشاد ومن ثم التوبة والندم.

والحديث يخبرنا بقالة السيدة عائشة التى انتقصت بها واحتقرت السيدة صفية - رضى الله عنهما- وهذه غيبة حيث أن غيبة السيدة عائشة لغيرها لم تقتصر على القول بل تجاوزت ذلك إلى الفعل. وفى هذا إشارة إلى أن الغيبة لها أشكال وهيئات مختلفة وأن بواعثها أيضاً مختلفة منها الانتقاص والاحتقار . فبِمَ رد النبى الكريم -صلى الله عليه وسلم- على السيدة عائشة ؟ وما الدرس الذى يلقنه كل المسلمين من وراء أم المؤمنين السيدة عائشة – رضى الله عنها – ؟ رد الرسول المصطفى قالة

عائشة -رضى الله عنها- منكراً إياها موضحاً لها أنها أى كلمة الانتقاص والاحتقار بذكر عيب أختها المسلمة تعد ذنبا وكبيرة من الكبائر التى يجب أن يقلع عنها كل مؤمن لأنها إفساد تؤدى إلى الكراهية والمشاحنات والعداوات وتقوض بناء المجتمع المسلم.

ونفهم من الحديث الشريف أن الغيبة منهيٌّ عنها بأى شكل أو هيئة كانت بالقول أو المحاكاة . فيقول النبى الكريم -صلى الله عليه وسلم- ناصحاً ومعلما وواعظا ومرشداً :" ما أحب أنى حكيت إنسانا" ،ونحن مطالبون بالتأسى بالنبى الكريم وبخلقه العظيم وبطاعته . وطاعة الله تكون بالتخلق بآداب الإسلام والإقلاع عن الذنوب والكبائر .

فالرسول المصطفى يبغض المحاكاة بهدف الغيبة وهو هنا يبغضها للسيدة عائشة – رضى الله عنها– ولكل المسلمين. وقوله -صلى الله عليه وسلم- : ما أحب أنى حكيت إنسانا وإن لى كذا وكذا " يكشف هذا القول عن أحد بواعث الغيبة كالوصولية والتسلق من أجل التقرب إلى الحكام أو أصحاب المال والجاه والسلطان وأولى الأمر لنيل العطايا أو رغبة فى الإثراء على حساب الآخرين من المسلمين . فيسلك بعض الناس مسلك السعاية بالغيبة والنميمة لدى من يرجون نواله رياء ونفاقا. ويلجأ هؤلاء المغتابون النمامون إلى أسلوب التجسس .

وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشىء . فقال عمر : ياهذا إن شئت نظرنا فى أمرك فإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية﴿ .. إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[٣١]وإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ

---

[٣١] سورة الحجرات: الآية ٦.

بِنَمِيمٍ﴾[٣٢]،وإن شئت عفونا عنـــك . فقـــال : العفـــو يـــاأمير المؤمنيـــن لا أعـــود إليه أبدا[٣٣].

ويفهم من قول الرسول هذا أنه – عليه السلام – ينبه المؤمنين ألا يفرطـــوا فى آخرتهم ويبيعونها من أجل دنياهم فالآخرة عند الله خير وأبقى والمسلم معتصـــم بحبل الله مستمسك بقيم الإسلام ومبادئه لا يتراجع أمام أقوى المغريـــات. والغيبـــة والنميمة حرام بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية مـــن الكتاب والسنة.

تراجم الرواة

السيدة عائشة -رضى الله عنها :

بنت أبى بكر الصديق خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : عبد الله بـــن أبى قحافة بن عثمان بن عامر ... القرشية التيمية [أم المؤمنين] زوج النبى -صلـــى الله عليه وسلم- أفقه نساء الأمة . وأمها : أم رومان بنت عـــامر بـــن عويمـــر... الكنانية . عقد عليها النبى -صلى الله عليه وسلم- بعد البعثة وقبل الهجرة، وبنى بـــها فى السنة الثانية من الهجرة منصرفه من غزوة بدر الكبرى. وكانت امرأة بيضـــاء جميلة، يقال لها : الحميراء ولم يتزوج النبى -صلى الله عليه وسلم- بكرا غيرهـــا ، ولا أحب امرأة حبها[٣٤] ، وكان يقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنـــى فيما تملك ولا أملك [أى : الميل القلبى الذى لا دخل للإنسان فيه] . وكـــانت تقـــول

---

[٣٢] سورة القلم : الآية ١١.

[٣٣] كتاب الكبائر للذهبى ص ١٣٩.

[٣٤] غير خديجة والمراد الموجودات فى عصمته من أمهات المؤمنين.

الشعر، وتعرف أنساب العرب كأبيها. وقد ندمت على خروجها يوم الجمل أشد الندم، مع أنها ما خرجت إلا أمرا بالمعروف ، وإرادة للخير ،وجمعا لكلمة الأمة،ووحدتها.

وروت علما كثيراً عن النبى -صلى الله عليه وسلم- ، وعن أبيـــها ، وعــن عمر بن الخطاب ، وفاطمة ، وسعد ، وحمزة بن عمرو الأسلمى... وغيرهم.

وحدث عنها : خلق كثير من الصحابة والتابعين ، وكانت تستدرك بعـــض الأمور على الصحابة.

وبلغ مسندها ٢٢١٠ حديثا ، اتفق الشـيخان علــى ١٧٤ حديثـا وانفــرد البخارى بـــ ٥٤ حديثا ، ومسلم بـــ٦٩ حديثا.

وتوفيت سنة ٥٧ للهجرة ، ودفنت بالبقيع ، وكان عمرها يومئذ ٦٣ عامــــاً وبضعة أشهر.

<u>عبد الرحمن بن عجلان البصرى:</u>

روى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قصة أبى ضمضمروى عنه ثــابت البنانى.أخرجه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عنه ثم قال رواه محمد ابن عبد الله بن عبد الله العمى وعن ثابت عن أنس قال أبو داود حديث حماد أصـــح وأورد له البخارى فى الأدب المفرد من طريق حماد بن سلمة عن كثير أبى محمــد عنه أثرا عن عمر ثم ذكره فى التاريخ فقال روى عن النبى -صلى الله عليه وسـلم- مرسلا وذكره غيره فى التابعين

عويمر بن عامر : أبو الدرداء :

الأنصارى الخزرجى الإمام القدوة ، قاضى دمشق ، وصاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، حكيم هذه الأمة ، وسيد القراء بدمشق ، أسلم يوم بدر وشهد أُحدا ،وأمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يرد من على الجبل فردهم وحده. وهو ممن تلا على النبى -صلى الله عليه وسلم- ، وممن جمع القرآن على عهد النبى -صلى الله عليه وسلم- .

قال أنس : " مات النبى -صلى الله عليه وسلم- ولم يجمع القرآن إلا أربعة : أبو الدرداء ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو زيد [٣٥]،والمقصود:جمعه كتابة على ما تيسر من أدوات الكتابة فى ذلك العصر وليس المراد جمعه فى الصدور، فالحافظون له يومئذ لا يعدون،وذكر منهم صاحب فتح البارى الكثير ٤٧/٩- ٤٨ فراجعه.

عبد الله بن أبى قحافة ،أبو بكر الصديق :

خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أول من أسلم من الرجال ، وصاحب النبى -صلى الله عليه وسلم- ومؤنسه فى الغار وفيه نزل قوله تعالى﴿ **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾[٤٠]، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . وإليه يعود الفضل الأول فى تثبيت دعائم الدولة الإسلامية،ووحدة المسلمين بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- يوم أن قال قولته المشهورة : " والله

---

(٣٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤٧/٩ - ٤٨ فى فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفى تاريخه أيضا ٧٠٦/٧-(٣٦) سورة التوبة /الآية ٤٠

لأخرجن إليهم وحدى ولو تخطفتنى الكلاب" . ولقد أشرف على جمع القـــرآن فـــى المرة الأولى خوفاً عليه من الضياع بوفاة أكثر الحفاظ له فى فتوحات المسلمين.

روى عنه : ولداه : عبد الرحمن وعائشة ، وعمر ، وعلى ، وزيد وعبد الله ابن عمر وابن عباس ، وخلق كثير.

تُوفِّيَ فى جمادى الأولى سنة ١٣هـ - رضى الله عنه-

حذيفة بن اليمان:

وهو حذيفة بن حسل ، ويقال : حسيل ، بن جابر بن عمرو بن ربيعه بـــن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، أبو عبد الله العبسى، واليمان لقب حسل بن جابر.

روى عنه ابنه أبو عبيدة ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب. وقيس ابن حازم وأبو وائل ، وزيد بن وهب وغيرهم . وهاجر إلى النبى -صلى الله عليـــه وسلم- فخيّره بين الهجرة والنصرة ، فاختار النصرة ، وشهد مع النبى -صلـــى الله عليه وسلم- أُحداوقتل أبوه بها ، ويذكر عند اسمه . وحذيفة صاحب سر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى المنافقين ، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة ، أعلمه بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسأله عمر : أفى عمالى أحد من المنافقين ؟ فقال : نعـــم ، واحد ، قال : من هو ؟ قال : لا أذكره . قال حذيفة : فعزله ، كأنما دل عليه ، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة ، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمـــر ، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر.

وكان يسأل النبى -صلى الله عليه وسلم- عن الشر ليتجنبه ، وأرسله النبـــى -صلى الله عليه وسلم- ليلة الأحزاب سرية ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بـــدرا ، لأن

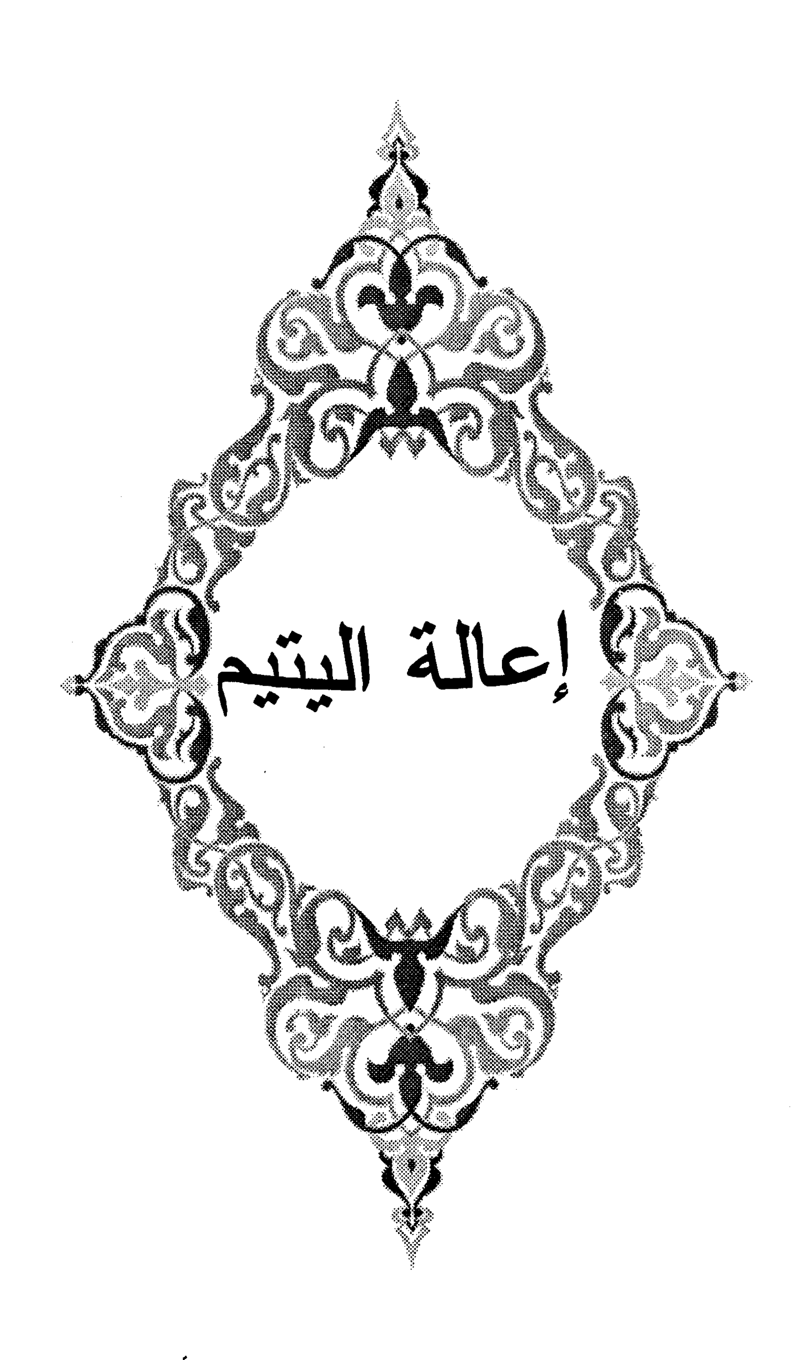
المشركين أخذوا عليه الميثاق لا يقاتلهم ، فسأل النبى -صلى الله عليه وسلم- : هل يقاتل أم لا ؟ فقال: بل نفى لهم ، ونستعين الله عليهم . وقال ليث بن أبى سليم: لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعا شديدا وبكى بكاء كثيرا فقيل : ما يبكيك ؟ فقال: ما أبكى أسفا على الدنيا ، بل الموت أحب إلى، ولكنى لا أدرى علام أقدم، على رضى أم على سخط ؟ . وقيل : لما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا ، اللهم إنك تعلم أنى أحبك ، فبارك لى فى لقائك ثم مات. وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة ، سنة ست وثلاثين.

أبو برزة الأسلمى :

اسمه نضلة بن عبيد ، صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، من الطبقة السادسة ، قيل إنه قتل ابن خطل يوم الفتح وهو تحت أستار الكعبة .

روى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- وأبى بكر وعنه : ابنه المغيرة، وحفيدته منية ، بنت عبيد وأبو عثمان النهدى والأزرق بن قيس ، وأبو المنهال سيار ابن سلامة، وأبو الرضى عباد بن نسيب ، وكنانة بن نعيم العدوى ، وجماعة . سكن البصرة وتوفى غازيا بخراسان .

توفى سنة ستين قبل معاوية ، وقال الحاكم : توفى سنة أربع وستين، والله أعلم .



إعالة اليتيم

إعالة اليتيم

اللغويات :

يتم : اليُتْم : الانفراد ؛ عن يعقوب ، واليتيم : الفَرْد ، واليُتْم واليَتْم : فقدان الأب . وقال ابن السكيت : اليتم فى الناس من قِبَل الأب. وفى البهائم من قِبَل الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع . قال ابن برى : اليتيم الذى يموت أبوه ، والعَجِيّ الذى تموت أمه ، واللطيم الذى يموت أبواه .

وقال ابن خالويه : ينبغى أن يكون اليُتم فى الطير من قبل الأب والأم لأنهما كليهما يَزُقَّان فِراخَهما، وقد يَتِمِ الصبى ، بالكسر ، يَيْتَمُ يُتْما و يَتْما ، بالتسكين فيهما.

ويقال : يَتَم ويَتِم وأيْتَمَه الله، وهو يتم حتى يبلغ الحُلُم .

الليث : اليتيم الذى مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ ، فإذا بلغ زال عن اسم اليُتم ، والجمع أيتام ويتامى وَيَتَمَةٌ ، فأما يتامى فعلى باب أسارى ، وأما أيتام فإنه كُسِّرَ على أفعال كما كَسَّروا فاعلا عليه حين قالوا شاهد وأشهاد ، ونظيره شريف وأشراف ونصير وأنصار ، وأما يَتَمَةٌ فعلى يَتَم فهو ياتم ، وإن لم يسمع الجوهرى يَتَّمهم الله تيتيما جعلهم أيتاما .

قال الفِنْدُ الزمانى واسمه سهل بن شَيْبَان : بِضَربٍ فيه تأييمٌ ، وتيتيم وإرنان.

قال المفضل : أصل اليتم الغفلة ، وبه سمى اليتيم يتيما لأنه يُتغافل عن بَرِّه.
وقال أبو عمرو: اليُتْم الإبطاء ، ومنه أُخذ اليتيم لأن البر يُبطىء عنه . ابن شميل : هو فى ميتمة أى فى يتامى ، وهذا جمع على مفعلة كما يقال مشيخة للشيوخ ومسيفة للسيوف .

وقال أبو سعيد : يقال للمرأة يتيمة لا يزول عنها اسم اليتم أبدا ، وأنشدوا :
وينكِح الأرامل اليتامى.

وقال أبو عبيدة : تدعى يتيمة ما لم تتزوج ، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليُتم ، وكان المفضّل ينشد :

أفاطِمَ ، إنى هالك فَتَثَبّتى ∴ ولا تجزعى ، كل النساء يتيمُ

وفى التنزيل العزيز:﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ أى أعطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رُشْدا ، وسموا يتامى بعد أن أُونس منهم الرشد بالاسم الأول الذى كان لهم قبل إيناسه منهم ، وقد تكرر فى الحديث ذكر اليتيم واليتيم واليتيمة والأيتام واليتامى وما تصرف منه .

واليُتْم فى الناس : فَقْدُ الصبى أباه قبل البلوغ ، وفى الدواب: فَقْدُ الأم ، وأصل اليُتم بالضم والفتح ، الانفراد ، وقيل : الغفلة ، والأنثى يتيمة ، وإذا بلغا زال عنهما اسم اليتيم حقيقة ، وقد يطلق عليهما مجازا بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو كبير يتيم أبى طالب لأنه رباه بعد موت أبيه . وفى الحديث :" تُستأمر اليتيمة فى نفسها ، فإن سكتت فهو إذنها " أراد باليتيمة البكر البالغة التى مات أبوها قبل بلوغها فلَزِمها اسم اليُتْم ، فدعيت به وهى بالغة مجازا[1].

وفى حديث الشعبى : أن امرأة جاءت إليه فقالت : إنى امرأة يتيمة ، فضحك أصحابه فقال : النساء كلهن يتامى أى ضعائف .

---

[1] لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور . معجم لغوى علمى قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلى إعداد وتصنيف يوسف خياط – المجلد الثالث – ص١٠٠٣، ١٠٠٤.

وحكى ابن الأعرابى: صبىٌّ يَتْمان ، وأنشد لأبى العارم الكلابىّ:

فَبِتُّ أسوى صبيتى وحليلتى ∴ طريا، وجرو الذئب يتمان جائع

قال ابن سيده: وأَحْرِ بيتامى أن يكون جمع يتمان أيضاً. وأيتمت المرأة وهــى مُوتِمٌ: صار ولدها يتيما أو أولادها يتامى ، وجمعها مياتيم ، عن اللحيـــانى: وفــى حديث عمر –رضى الله عنه– قالت له بنتُ خُفَافٍ الغِفارى : إنى امرأة مُوتِمَةُ تُوفى زوجى وتركهم . وقالوا : الحرب مَيْتَمَة يَيْتَمُ فيها البنون ، وقالوا : لا تحـــا...[كــذا بياض فى الأصل] الفصيل عن أمه فإن الذئب عالم بمكان الفصل اليتيم . واليَتَـــم : الغفلة .

ويَتِمَ يَتْماً : قصر وفتر ، أنشد ابن الأعرابى :

ولا ييتم الدهرُ المواصل بينــه ∴ عن الفَوِّ حتى يستدير فيضرعا

واليَتَمَ : الإبطاء . ويقال : فى سَيْرِهِ يَتَم ، بالتحريك ، أى إبطـــاء ، وقـــال عمرو بن شاس :

وإلا فسِيرى مثل ما سار راكب ∴ تيمم خِمسا ، ليس فى سَيْرِه يَتَمْ

تعريف اليتيم فقهيا :

اليتيم هو من مات عنه أبوه ولم يبلغ الحلم [٢].

لمن تكون الولاية على اليتيم ؟

الولاية هى قيام شخص كبير راشد على شخص قاصر (يكون اليتيم هنا) فى تدبير شؤونه الشخصية والمالية . وهى على نوعين :

---

[٢] موسوعة فقه عمر بن الخطاب د. محمد رواس قلعه جى ص ٦٨٩.

أ- ولاية على النفس :

وهى الولاية التى يقوم الولى بموجبها بما يصلح شأن القاصر كالتأديب والتعليم والترويج والتشغيل ونحو ذلك ، رضى بذلك القاصر أو لم يرْضَ ، قال عمر مبينا حق الولى فى تأديب الصغير وأجره على ذلك: رحم الله رجلاً ائتجر على يتيمه بلطمة [٣] ، وزوج على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وهى صغيرة [٤].

ب- ولاية على المال:

وهى الولاية التى يقوم الولى بموجبها بما يحفظ مال القاصر وينفعه من عقود وتصرفات . وبما وجب على القاصر من النفقات . فهو ينمى له المال ويثمره بما يراه مناسبا من الصناعات والتجارات والزراعات.

وقال عمر : اتجروا فى أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة [٥] ، وقد أعطى عمر مال يتيم مضاربة فكان يعمل به فى العراق ، وتفصيل ذلك أن عمر قال لعثمان بن أبى العاص : إن عندى مال ليتيم قد أسرعت فيه الزكاة ، فهل عندكم تجار أدفعه إليهم ؟ قال : فدفع إليه عشرة آلاف فانطلق بها. وكان له غلاما ، فلما كان من الحَوْل، وفد على عمر فقال له عمر : ما فعل مال اليتيم ؟ قال : قد جئتك به . قال: هل كان فيه ربح؟ قال: نعم ، بلغ مئة ألف ، قال : وكيف صنعت ؟ قال:دفعتها إلى التجار وأخبرتهم بمنزلة اليتيم منك . فقال عمر : ما كان قبلك أحد أحرى من أنفسنا

---

[٣] سنن البيهقى ٦/٢٨٥.

[٤] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ٦٨٥.

[٥] الموطأ ١/٢٥١ وعبد الرازق ٤/٦٨ وابن أبى شيبة ١/١٣٤ ب وسنن البيهقى ٦/٢ و ٤/١٠٧ والأموال ١/٢٥١ والمغنى ٤/٢٣٩.

لا يطعمنا خبيثا منك ، اردد رأس مالنا ، ولا حاجة لنا فى ربحك ، وفى رواية فقال عمر: فكانت تمر عليكم اللؤلؤة الجيدة فتقولون : هذه لأمير المؤمنين ، ردوا إلينا رؤوس أموالنا [٦].

فضل من يعول يتيما :

عن سهل بن سعيد عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا . وقال بأصبعيه السبابة والوسطى [٧].

(كافل اليتيم): أى من يقوم برعاية مصالحه ويعوله ، وقال هنا بمعنى أشار.

(السبابة): الأصبع التى تلى الإبهام سميت كذلك لأنها يسبح بها فى الصلاة ويشار بها فى التشهد ويسبّ بها الشيطان.

(الوسطى): الأصبع الذى يتوسط الأصابع الخمسة ويقع بين الأصبع البنصر والسبابة : وتسمى أصابع اليد الخمسة:

١- الإبهام ٢- السبابة ٣- الوسطى ٤- الخنصر ٥- البنصر

(كهاتين) : أى من الأصبعين . وفى رواية البخارى : وفرج بينهما شيئا

ويعد هذا الحديث الشريف من جوامع الكلم لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- لأنه ذو مغزى وهدف جليل قصد منه الحث على التكافل الاجتماعى وترحم الناس ورحمة بعضهم البعض والألفة والود والمحبة بين المسلمين وأن يتعاون

---

[٦] عبد الرازق ٦٧/٤ وسنن البيهقى ١٠٧/٤ والمحلى ٢٠٨/٥.

[٧] صحيح البخارى ٢٢٣٧/٥ ، ٧٨ كتاب الأدب ٢٤ فضل من يعول يتيما ، وأخرجه الترمذى فى ٢٨ كتاب البر والصلة ، ١٤ باب فى رحمة اليتيم وكفالته ح١٩١٨.

بعضهم مع البعض فتقوى الروابط بين الناس وتتواصل الأرحام ويحيا المجتمع فـــي أمن وأمان .

ويجمع الرسول الكريم بينه وبين كافل اليتيم ليطمح المسلم إلى تلك المكانـــة السامية التى يتبوأها ، كما يَعِد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ثم يبيـــن عظمـــة مكانة كافل اليتيم وثوابه وأجره الحسن عند الله في الآخرة بقوله -صلى الله عليـــه وسلم- (فى الجنة).

و(كافل اليتيم) فيها مطلق الإشارة والعموم سواء . فقد يكون هـــذا الكـــافل إحدى النسوة أُمًّا أو خالة أو عمة أو أختا أو أى امرأة أخرى كمن يقمن على رعايـــة شئون اليتامى فى مؤسسات ودور يتامى. أو يكون الكافل رجلا أخا كان أو عمـــا أو خالا أو ابن عم أو غيرهم أفرادا كانوا أو مؤسسات تابعة للحكومة .

كيف تكون كفالة اليتيم :

تكون بالانفاق عليهم والعطف عليهم وتعليمهم وعلاجهم والتخفيـــف عنـــهم ومواساتهم والمحافظة على أموالهم وتثميرها ومواريثـــهم حتـــى يبلغـــوا رشـــدهم ويُتصدق على الفقراء منهم وتبنى من لا يوجد له وصىٌّ أو كافل. كما يجب عـــدم أكل أموال اليتامى وحقوقهم حتى لا يؤول إلى عذاب شـــديد ويصلـــى نـــار جـــهنم وعذابها فى الآخرة .

يقول تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِـــيَ أَحْسَـــنُ حَتَّـــى يَبْلُـــغَ أَشُدَّهُ﴾[٨].

---

[٨] سورة الأنعام : الآية ١٥٢.

وفى هذه الآية الكريمة تنهى عن أن تُبدد أموال اليتامى وتضيع أو تغتصب ولو جزء قليل منها [٩].

وعن أيوب بن بشير الأنصارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من عال ثلاث [١٠]بنات فأدبهن [١١]وزوجهن وأحسن[١٢] إليهن فله الجنة [١٣].

وقد استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أصبعيه السبابة والوسطى أفاد قرب المنزلة فى الجنة له -صلى الله عليه وسلم- وكافل اليتيم ، وهذا من قبيل التمثيل والتشبيه لتقريب الصورة فى الذهن وتجسيدها . وهذه صورة بيانية أدى بها -صلى الله عليه وسلم- المعنى أدق أداء.

وقوله -صلى الله عليه وسلم- : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة " أى متلازمان مترافقان متقاربان . (أنا) مبتدأ. (وكافل) الواو للعطف ، كافل معطوف على كافل مرفوع ، (فى) حرف جر ، (الجنة) اسم مجرور بحرف الجر . وشبه الجملة (فى الجنة) متعلق بمحذوف خبر (أنا وكافل) والتقدير [أنا وكافل اليتيم] فى الجنة متلازمان . وهو فى محل رفع خبر المبتدأ.

---

[٩] كتاب الادب ، باب ١٣٣ ح ٥١٣٥، ٥١٣٦ عون المعبود .

[١٠] قام بما يحتجنه من نحو نفقه وكسوه.

[١١] أدبهن بآداب الشريعة الإسلامية وعلمهن أمور دينهن .

[١٢]بعد الزواج بنحو صلة وزيادة .

[١٣] أخرجه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى ، وقال حديث ضعف .

وإذا ترملت المرأة لتعول صغارها وتقوم على رعايتهم فإن الله تعالى يكتب لها الجنة.

فضل آوى اليتيم :

وعن ابن عباس [١٤] أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : " من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر [١٥].

(من قبض يتيما) : أى تسلم وأخذ. وفى رواية شرح السنة (من آوى يتيما) (من بين المسلمين) : أى مسلما.

(إلى طعامه وشرابه): أى بنية العطف عليه وذلك بإطعامه وإشرابه.

(أدخله الله الجنة):كافأه على بِرّه ورحمته باليتيم بأن يدخله الجنة فى الآخرة.

(البتة): أى إدخالا قاطعا بلا شك فيه ولا شبهة . ويقال :(لا أفعل هذا الأمر البتة) أى لا أفعله مطلقا ولا رجعة فى ذلك[١٦].

(إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر) جاءت هذه الجملة بمعنى الاستثناء بـ (إلا) حيث ما بعد إلّا يخالف ما قبلها . فالمشركون بالله عز وجل لا ينسحب عليهم الحكم بدخول الجنة وإن عملوا الصالحات كالبر باليتامى لأنه غير متقبل منهم، حيث أن

---

[١٤] له ترجمة فى نهاية هذا الموضوع.

[١٥] تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ص ٤٤ ح ١٩٨٢ج١.

[١٦] المعجم الوجيز . مادة (بت).

القاعدة لتقبل العمل الصالح مرهون بالإيمان بوحدانية الله. وهذا الإيمان شرط لتقبل العمل الصالح والعمل الصالح شرطه الإيمان.

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ... ﴾ (١٧).

ويحض هذا الحديث الشريف على العطف والرفق باليتامى والإحسان إليهم ومن ذلك إطعامهم والتصدق عليهم بالكسوة والإنفاق على علاجهم وتعليمهم وذلك لفقدهم العائل واحتياجهم لمن يقوم مقامه.

ومن عدل الله إثابة كافلى اليتامى خير ثواب بنعيم الجنة بشرط أن يكون كافل اليتيم موحدا بالله، كما يجب عدم أكل أموال وحقوق اليتامى لأن ذلك مصيره العذاب ويصْلَى مرتكب هذا الإثم نار جهنم فى الآخرة.

وعن أبى هريرة -رضى الله عنه – قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه" (١٨).

(خير بيت فى المسلمين) أسلوب تفضيل حيث (خير) محولة عن أفعل التفضيل وهو (أخْيَر) ، كذا (شر بيت) أسلوب تفضيل حيث (شر) محول عن أفعل التفضيل(أشر) . واستخدام أسلوب التفضيل فى مجالى الموازنة والمفاضلة أولا فى مجال الخير فيه تأكيد على أن أهل البيوت وأصحابها الذين يعولون اليتامى أكثر خيرا لما يقومون به من كفالة اليتيم ورعايته حيث أقدموا

---

(١٧) سورة النساء : الآية ٤٨.

(١٨) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد باب (٧٦) حديث (١٣٧) وابن ماجه فى ٣٣ كتاب الأدب، ٦ باب حق اليتيم ، ح ٣٦٧٩.

على عمل خير وكأنهم قد جمعوا إلى الخير الذى خلّقهم به الإسلام خير خلق: خلق صلة الرحم والرحمة والإحسان . والمتخلقون بذلك أفضل وأكثر خيرا ممن لا يقومون برعاية اليتامى . وهذا يعد من قبيل الترغيب فى إحراز مزيد من الخير والفضل وذلك مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[١٩]. ومن ثم الحرص على ثواب الله ونيل مغفرته ورضوانه.

ويقول تعالى مخاطبا نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾[٢٠]،والآية الكريمة تحث على إكرام اليتيم وكفالته والإحسان والعطف عليه.

وفى قوله :(**ألم يجدك يتيما فآوى**) إنشاء بلاغى فيه تذكير للنبى -صلى الله عليه وسلم- بما أفاء الله تعالى عليه من رحمة ولطف بأن رعاه تعالى وقيّض له من يكفله ويحميه من الأذى من أهله. ولعل الهدف من هذا الاستفهام الإنشائى التقرير بحقيقة واقعة .

ويستأنف المولى عز وجل قائلاً: (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ**) بمعنى أن أباه تُوُفِّيَ وهو حَمْل فى بطن أمه ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان فى كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن تُوُفِّيَ أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه

---

[١٩] سورة المطففين: الآية ٢٦.

[٢٠] سورة الضحى: الآية ٦.

الأتم الأكمل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديــه-رضـــى الله عنهم أجمعين- وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به [٢١].

تراجم الرواة

سهل بن سعد :

ابن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخــــزرج الأنصـــارى الساعدى أبو العباس . روى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- وعن أبى بن كعـــب وعاصم بن عدى وغيرهم.

رؤى عنه ابنه عباس والزهرى وأبو حازم بن دينا.

أبو سعيد الخدرى

هو سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصارى الخزرجى الخدرى صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، كان من فضلاء الصحابة بالمدينة .

روى الكثير عن النبى -صلى الله عليه وسلم- ، وعن أبى بكـــر ، وعمـــر ، وأخيه لأمه قتادة بن النعمان .

روى عنه : زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وجابر بن عبد الله وســـعيد بـــن المسيب ، وطارق بن شهاب ، وسعيد بن جبير ، وأبو صالح السمان ، وعطـــا بـــن يسار ، والحسن، وأبو الوداك ، وعمرو بن سليم الزرقى ، وأبو سلمة ونافع مولــــى ابن عمر ، وخلق . وقتل أبوه يوم أحد .

---

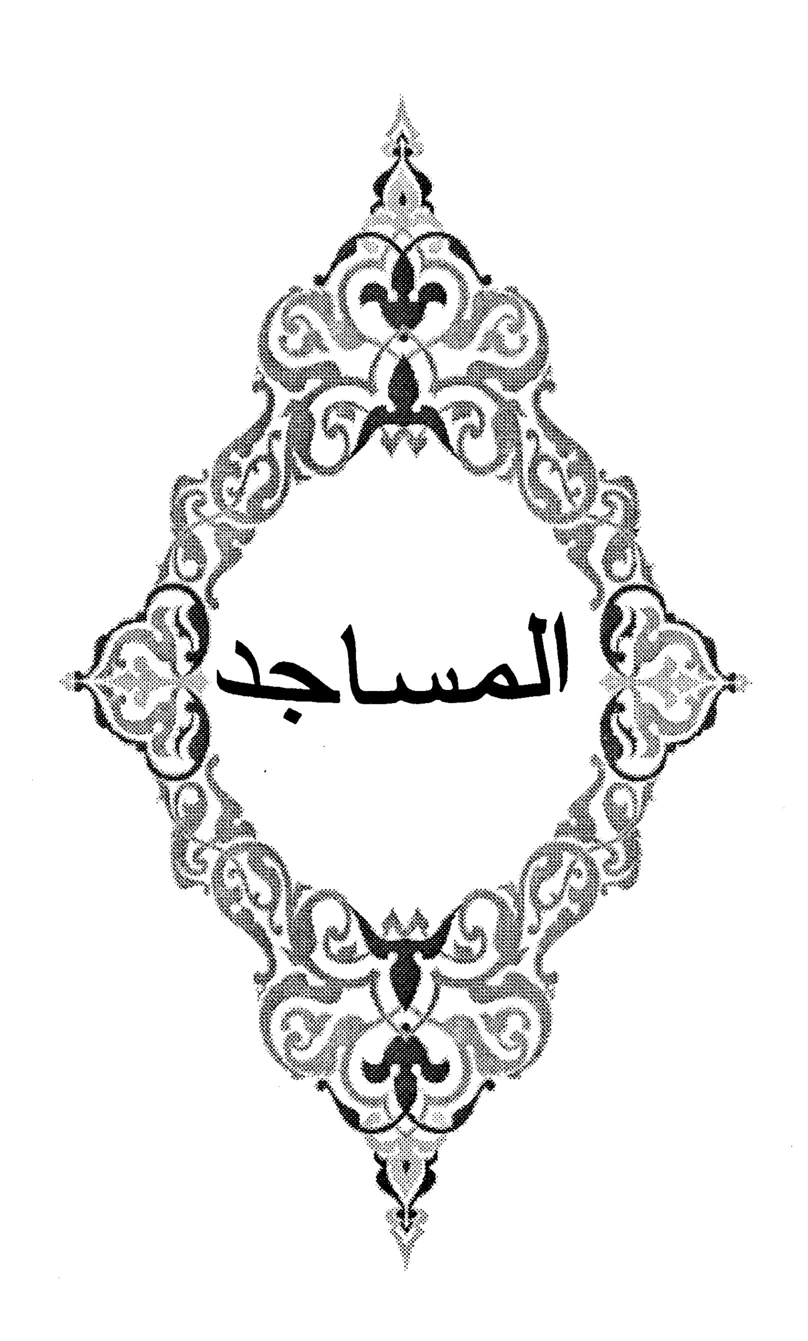
[٢١] تفسير ابن كثير - المجلد الرابع- ص ٥٢٤ - طـــ . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـــع - بيروت.

قال الواحدى والجماعة : توفى سنة أربع وسبعين ·

وقال ابن المدينى قولين لم يتابع عليهما ·

وقال إسماعيل القاضى : سمعته يقول : توفى سنة ثلاث وستين·

وقال البخارى : قال على : مات بعد الحرة بسنة ·



المساجد

المساجد

اللغويات :

سجد: الساجد : المنتصب فى لغة طىّء .

قال الأزهرى . ولا يحفظ لغير الليث. ابن سيده : سجد يسجد سجودا وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجَّد وسجود . وقوله عز وجل :﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾، هذا سجود إعظام (لا سجود عباده لأن بنى يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله عز وجل.

قال الزجاج : إنه كان من سنة التعظيم فى ذلك الوقت أن يُسجد للمُعظَّم ، قال وقيل :(خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) أى خروا لله سجدا، قال الأزهرى : هذا قول الحسن والأشبه بظاهر الكتاب أنهم سجدوا ليوسف ، دل عليه رؤياه الأولى التى رآها حين قال ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ . فظاهر التلاوة أنهم سجدوا ليوسف تعظيما له من غير أن أشركوا بالله شيئا، وكأنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله عز وجل ، فلا يجوز لأحد أن يسجد لغير الله.

وفيه وجه آخر لأهل العربية : وهو أن يجعل اللام فى قوله :(وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)، وفى قوله (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) لام من أجل ، المعنى : وخروا من أجله سجدا لله شكرا لما أنعم الله عليهم حيث جمع شملهم وتاب عليهم وغفر ذنبهم وأعز جانبهم ووسع بيوسف – عليه السلام– ، وهذا كقولك فعلت ذلك لعيون الناس أى من أجل عيونهم ، وقال العجاج :

تَسْمعُ للجَرْع ، إذا استحيرا ∴ للماء فى أجوافها ، خريرا

أراد تسمع للماء فى أجوافها خريرا من أجل الجرع . وقوله تعالى:(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)، قال أبو إسحق : السجود عبادة لله لا عبادة لآدم لأن

الله، عز وجل ، إنما خلق ما يعقل لعبادته ، والمسجَد والمسجِد : الذى يسجد فيـــه ، وفى الصحاح : واحد المساجد ، وقال الزجاج : كل موضع يتعبد فيه فهو مســـجِد ، ألا ترى أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قـــال : " جُعِلَـت الأرض لــى مســجدا وطهورا"، وقوله عز وجل : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**). والمعنى أنه مـــن أظلم ممن خالف ملة الإسلام ؟

قال سيبويه : وأما المسجد فإنهم جعلوه إسما للبيت ولم يأت على فعل يفعل، كما قال فى المُدُقّ إنه اسم للجلمود ، يعنى أنه ليس على الفعل ، ولو كان على الفعل لقيل مِدَقٌّ لأنه آله ، والآلات تجىءعلى مِفعل كمِخْرز ومِكْنس ومِكسح .

ابن الأعرابى: مسجَد ، بفتح الجيم ، محراب البيوت ، ومصلى الجماعـــات مسجِد ، بكسر الجيم ، والمساجد جمعها ، والمساجد أيضاً: الآراب التى يُسجد عليـها والآراب السبعة مساجد . ويقال : سَجَد سجدَةً . وما أحسن سِجْدته أى هيئة سجوده.

والمسجدان : مسجد مكة والمدينة ، شرفهما الله عز وجل ، وقال الكميـــت يمدح بنى أمية :

لكم مَسْجِدا الله المزوران، والحَصَى ∴ لكم قِبْصُه من بين أثرَى وأقْتَرا

القِبصُ : العدد . وقوله : من بين أثرى وأقترا يريد من بين رجـــل أثـــرى ورجل أقتر أى لكم العدد الكثير من جميع الناس، المُـــثْرِى والمُقْـــتر . والمِســـجدة والسجادة : الخُمْرَة المسجود عليها . والسَّجّادة : أثر السجود فى الوجه أيضاً.

والمسجد:بالفتح:جبهة الرجل حيث يصيبه نَدَبُ السجود . وقوله تعالى (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**)أراد أن السجود لله ، وهو جمع مسجد كقولك ضربت فى الأرض .

أبو بكر : سجد إذا انحنى وتطامن إلى الأرض . وأسجَد الرجـــل : طأطـــأ رأسه وانحنى ، وكذلك البعير ، قال الأسدى أنشده أبو عبيد : (وقلن له أَسْجِد لِلَيلـــى فَأَسْجَدَا) يعنى بعيرها أنه طأطأ رأسه لتركبه .

وقال أبو حميد بن ثور يصف نساء :

فُضولَ أَزِمَّتها أَسْجَـــــدَت ∴ سجود النَّصَارى لِأَرْبابها

يقول: لما ارتحلن ولوين فضول أَزِمّة جمالهن على معاصمهن أسجدت لهن.

قال ابن برى صواب إنشاده :

فلما لَوَيْن على مِعْصـــــم ∴ وكفٍّ خضيب وأسوارها

فُضولَ أَزِمّتها ، أسجـدت ∴ سجود النصارى لأحبارها

و سجد : خضع ، قال الشاعر : ترى الأُكْمَ فيها سُــجَّدا للحوافِــرِ. ومنـــه سجود الصلاة . وهو وضع الجبهة على الأرض ولا خضوع أعظم منـــه. والإســـم السِّجدة ، بالكسر ، وسورة السَّجدة ، بالفتح . وكل من ذل وخضع لما أُمـــربه فقـــد سجد، ومنه قوله تعالى :(**يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ والشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِـرُونَ**) أى خضعا متسخرة لما سخرت له .

وقال القراء فى قوله تعالى:(**والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**) معنـــاه يســـتقبلان الشمس ويميلان معها حتى ينكسر الفىء. ويكون السجود علـــى جهـــة الخضـــوع والتواضع كقوله عز وجل (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ...**) ويكـــون السجود بمعنى التحية ، وأنشد : مَلِكٌ تدين له الملوك وتسجُدُ. قال ومن قال فى قولـــه عز وجل (**وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**) سجود تحية لا عبادة . وقـــال الأخفـــش : معنـــى الخرور فى هذه الآية المرور لا السقوط والوقوع . ابن عباس ، وقوله ، عز وجـــل

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) ، قال : باب ضيق ، وقال : سجدا ركعا، وسجود الموات محمله فى القرآن طاعته لما سخر له ، ومنه قوله عز وجل :(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ..) إلى قوله (.. وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ). وليس سجود الموات لله بأعجب من هبوط الحجارة من خشية الله، وعلينا التسليم لله والإيمان بما أنزل من غير تطلب كيفية ذلك السجود وفقهه ، وذلك لأن الله عز وجل لم يفقهناه ، ونحو ذلك تسبيح الموات من الجبال وغيرها من الطيور والدواب يلزمنا الإيمان به والاعتراف بقصور أفهامنا عن فهمه ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾.

•

فى موضوع الإسلام وبناء المساجد – مسك الختام فى هذا الكتاب يكون من المستحسن أن نقدم لهذا الموضوع ببعض العناصر التى تتعلق بالموضوع خاصة بالناحية التشريعية والفقهية .. وذلك على النحو التالى :

فضل بناء المساجد :

فى فضل بناء المسجد يكفى أن نذكر أنه بيت الله تعالى ، وإن من دخله كان فى ضيافة الله تعالى – وهل هناك فضل أعلى من هذا وأسمى . لذا قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : المساجد بيوت الله فى الأرض ، وحق على المزور أن يكرم زائره [١].

بناؤه :

على من يريد أن يبنى مسجدا أن يتوخى فى بنائه المال الحلال ، فقد كان للعباس دار إلى جانب مسجد المدينة . فقال عمر : بِعْنيها ، فأراد عمر أن يزيدها

---

[١] كنز العمال برقم ٢٣٠٧٤ ، ورواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود مرفوعا إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- انظر مجمع الزوائد ٢٢/٢.

فى المسجد، فأبى العباس أن يبيعها إياه ، فقال عمر : فهبها لى ، فأبى ، قال فوسعها أنت فى المسجد ، فأبى . فقال عمر : لا بد لك من إحداها ، فأبى عليه ، فقال : خذ بينى وبينك رجلاً، فأخذ أبى بن كعب ، فاختصما إليه فقال أبى لعمر: ما أرى أن تخرجه من داره حتى ترضيه ، فقال له عمر : أرأيت قضاءك هذا من كتاب الله وجدته أم سنة من رسول الله ، فقال أبى ، بل سنة من رسول الله ، فقد سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : إن سليمان بن داوود لما بنى بيت المقدس جعل كلما بنى حائطا أصبح متهدما ، فأوحى الله إليه أن لا تبنى فى حق رجل حتى ترضيه ، فتركه عمر ، فوسعها العباس بعد ذلك فى المسجد [٢].

تحاشى بناء المسجد على قبر أو مشهد :

يجب أن يتحاشى من أراد أن يبنى مسجدا أن يبنيه على قبر لأن عمر كان يكره الصلاة إلى قبر[٣] أو أثر من آثار الأنبياء

حرمة المسجد :

١- كان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يبذل جهده لأن يكون المسجد نظيفا ، محببا للنفوس ، لذلك كان يجمر المسجد - أى يعطره فى كل جمعة[٤].

٢- كما كان يكره أن يتخذ طريقا دون أن يصلى فيه شيئاً.

---

[٢] كنز العمال برقم ٢٣٠٩٥ والمحلى ٣٥٣/٨ و ٤١٤.

[٣] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، دكتور محمد رواس قلعة جى (بتصرف).

[٤] كنز العمال ٢٣٠٨١ ومجمع الزوائد ١١/٢.

٣- كما يكره رفع الصوت فى المسجد . فقد سمع عمر رجلا رافعا صوته فى المسجد فقال له : إن مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت.

٤- كما كانت مجالس القضاء تعقد فى المسجد ، وكان عمر بن الخطاب يقضى فيه ، فإذا اقتضى الأمر تنفيذ شىء من العقوبات الجسدية كالجلد والقطع ونحو ذلك أخرج الجانى من المسجد فأقيمت عليه العقوبة.

٥- ويحظر دخول الحائض والنفساء والمسجد إذا ما كانت طرفا فى الخصومة .

٦- لا تقام الحدود فى المسجد حفاظا على حرمته من أن تعلو فيه الأصوات ويتعرض للنجاسات ، ولذلك فإنه لما أتى رجل فى حد – فى عهد عمر بن الخطاب – قال : أخرجاه من المسجد ثم اضرباه [٥].

حث الإسلام على بناء المساجد :

حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثنى ابن وهب ، أخبرنى عمرو أن بكيرا حدثه ، أن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أنه سمع عبيد الله الخولانى ، أنه سمع عثمان بن عفان [٦] يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- : إنكم أكثرتم وإنى سمعت النبى -صلى الله عليه وسلم- يقول :" من بنى لله مسجدا" قال بكير : حسبت أنه قال : يبتغى به وجه الله ، بنى الله له مثله فى الجنة [٧].

---

[٥] المحلى ١١/١٢٣ والمغنى ٨/٣١٦ و٩/٤٥ وعبد الرازق ١/٤٣٦و ١٠/٢٣ وصحيح البخارى فى الأحكام باب من حكم فى المسجد .

[٦] له ترجمة فى نهاية الموضوع .

[٧] أخرجه الإمام البخارى بلفظه فى صحيحه . كتاب الصلاة ، باب : من بنى مسجدا ، ح ١٧٢ ، حديث ٤٣٩ وأخرجه الإمام مسلم بلفظ مقارب ، كتاب المساجد . باب فضل بناء المساجد=

أضواء حول الحديث :

والمساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض[٨].

وفى صحيح البخارى فى حديث طويل عن أنس أن النبى -صلى الله عليه وسلم- أمر ببناء . وفى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها [٩].

وروى البزار فى مسنده عن عبد الله بن المختار عن محمد بن واسع عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : لتكن المساجد مجلسك فإنى سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : إن الله عز وجل ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمن والجواز على الصراط يوم القيامة . وقال : هذا حسن الإسناد [١٠].

وهذا الحديث الذى نحن بصدده يمثل دفاع الخليفة عثمان بن عفان عن نفسه مبينا وجهة نظره بشأن توسعة المسجد وبنائه بالحجارة حين أكثر الصحابة فى ذلك الكلام ، وأنه لم يُرِدِ الإسراف فى مال المسلمين، وإنما أراد أن يكون بناء المسجد

= ٣٧٨/١١ ح ٥٣٣ ط. دار الحديث حققه المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ، وانظر كذلك عمدة القارئ للعينى ٢١١: ٤.

[٨] أخرجه فى مجمع الزوائد عن ابن عباس وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون ، مجمع الزوائد ٧ : ٢.

[٩] أعلام الساجد بأحكام المساجد ، تصنيف محمد بن عبد الله الزركشى ٧٤٥-٧٩٤ تحقيق فضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى ، طـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامى - طـ٤ - القاهرة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.

[١٠] المرجع السابق ص ٣٩.

بما نسمية فى عصرنا – بالجهود الذاتية أو بإسهام رجال الأعمال مما أفاض الله به عليهم من مال استخلفوا فيه وذلك تخفيفاً على موارد الدولة .

كما أراد قوة التأسيس بعد – وبلغة العصر أيضاً – إعداد ما يعرف بدراسة الجدوى التى يعدها كبار المقاولين والمهندسين والمختصين فى أعمال التشييد. وكأنه أراد بهذا الفكر وذلك المنطق قوة التأسيس حتى لا يكون عرضة للسقوط أو الانهيار بسبب الأمطار وغيرها من عوامل التعرية وسائر العوامل الطبيعية .

والبناء بلفظ أو بفكر عثمان ومنطقه وفعله أعم من أن يكون بلبن أو حجارة أو طين ونحوها .

ولئن كان النبى -صلى الله عليه وسلم- بناه بالطوب اللبِن وسقفه بالجريد فما ذلك إلا لأن المسلمين كانوا فى ضيق وشدة – وبلغة العصر أيضا– فى حالة نقص سيولة شديدة بسبب تواطؤ قوى الشرك والبغى والعدوان على مصطفانا محمد -صلى الله عليه وسلم- بسبب دعوته إلى حنيفية الله السمحة وعدم الإشراك بالله ونبذ الوثنيات – وكانت هذه الحالة تشبه فى حياتنا المعاصرة وفى مطالع القرن الواحد والعشرين الميلادى– الخامس عشر الهجرى مطالع القرن الواحد والعشرين الميلادى– الخامس عشر الهجرى (العولمة) و (التكتلات الاقتصادية) وحتى وإن لجأت بعض الدول إلى إغراق فائض إنتاجها القومى فى البحر بدلا من تقديمه إلى دول أخرى محتاجة . وبذلك يظل الفقير فقيرا ويبقى الغنى غنيا .

ولما وسّع الله على المسلمين لم يعد هناك ما يمنع . من جودة التأسيس وإحكام البناء وهذا ما فعله الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضى الله عنه- والمراد فى الحديث الشريف أعم من أن يباشر بنفسه أو بغيره وهنا ما ينطبق على

استدلال عثمان -رضى الله عنه- لأنه استدل بهذا الحديث على ما وقع منه. ومن المعلوم أنه لم يباشر البناء بنفسه والوعد بتناولهما معا - الحث والتوجيه عند بدء الفعل والتنفيذ- فيشمل الذى ينفق ولا يبنى بيده[١١].

ومعنى كون الإنسان يبتغى ببنائه للمسجد وجه الله : أن يطلب به رضا الله عز وجل بأن تكون غايته من وراء بناء المسجد احتساب الأجر عند الله عز وجل وتكون النية بالبناء تيسير إقامة شعائر الدين الإسلامى وبهذا وأكثر من ذلك تقوم المساجد.

ما يرشد إليه الحديث :

ويشير الحديث الشريف إلى أن :

١- بعض الصحابة أنكروا بناء المسجد وجعله بالحجارة.

٢- الترغيب فى بناء المساجد وهى مواضع السجود لأن بناء المسجد يمثل عملاً عظيما فيه إقامة شعيرة دينية وعبادة عماد الدين [١٢].

٣- عمارة المساجد من صالح الأعمال التى حث عليها الدين وتهيئتها لعبادة الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ [١٣].

٤- أن الله يجزى خير الجزاء من يقوم من المسلمين المؤمنين ببناء المساجد وعمارتها بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

---

[١١] المختار من كنوز السنة ج ١٨٣/١١ تأليف د. محمد شوقى السيد.

[١٢] عمدة القارئ للبدر العينى ٢٩/٤ ، طـ مصطفى الحلبى.

[١٣] سورة التوبة: الآية ١٨.

فمن يبن بيتا أى (مسجدا) لله يكافئ ببناء مثله فى الجنة . وهذا من قبيل الترغيب فى عظيم ثواب الله وذلك ببذل أقصى ما فى الإمكان فى بناء المساجد والإنفاق عليها وجعلها فى أحسن هيئة وفى أجمل صورة لأنه بقدر ما يجتهد فى البناء والسعى لحسن إتمامه وإنجازه تكون المكافأة من الله . وفى هذا فتح لباب المسابقة والمنافسة لنيل رضاه عز وجل.

بعض ما تقوم به المساجد فى عصرنا :

وتوجد بالمساجد لجان الزكاة التى تقوم بتوزيعها على مستحقيها فى المصارف التى أمر الله بها .

وفيها تلقى دزوس العلم سواء ما كان منها متعلقا بعلوم الدين من علوم القرآن الكريم وعلوم السنة والفقه والتشريع ونحو ذلك . كما تلقى فيها أيضاً علوم الدنيا وأقرب مثل لذلك الأروقة المتعددة للجامع الأزهر .

وقد انتشر فى العصر الحالى قيام وحدات علاجية لعلاج الفقراء -- على اختلاف أديانهم – انطلاقا من سماحة الدين .

كما يتم فى كثير من المساجد إطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين على موائد شاع تسميتها باسم " موائد الرحمن " .

ويتم كذلك عن طريق الهيئات المشرفة على بعض المساجد الإنفاق على طلبة العلم وبعض فقرائهم ومحتاجيهم .. وأبرز مثل ذلك ما يقوم به الأزهر من الإنفاق على طلبة الوفود والبعوث .. وما الأزهر إلا مسجدا فى المقام الأول.

هذا وتعتبر المساجد مؤتمرات إسلامية أسبوعية للتباحث فيما يشغل المسلمين والتعاون على حله.

أمور غير مقبولة فى بناء المساجد :

ومن الأمور غير المقبولة عند بناء المساجد اتخاذ هذا الفعل حيلة لاستخراج ترخيص أو تصريح بصرف حصص من مواد البناء من أسمنت وحديد وغيره من مستلزمات البناء بأسعار مدعومة من الدولة وتسهيلات لبناء أبراج سكنية لا يسكن معظمها إلا القادرين .. أما غير القادرين والمحتاجين وذوى الظروف غير العادية.. فليس لهم منها نصيب .. وهنا تكون النية غير خالصة لوجه الله.. والله أعلم بالنوايا.

كذلك يكون أمرا بعيدا عن الإخلاص بناء مسجد وكتابة اسمه عليه لأن المخلص يكتفى برؤية المعمول منه [١٤].

مساجد الله كيف نعمرها :

يختلف المفكرون والمتحدثون على الساحة الإسلامية فى تصور قضية تعمير المساجد ، فمنهم من يرى الإسراف فى تعميرها بذخا منهى عنه ، وكذا الإمعان فى هندستها وزخرفتها التى تسرق نظر المصلى حال أدائه الصلوات فتسهل له طريق عدم التبصر فيما يؤدى منها.

وهناك من يرى عمرانها فى القنوع بالمحاريب وملازمة الصلوات وعقد حلقات الذكر.

[١٤] إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى ص٣٧.

وتعرض هذه الأفكار على الأفهام عند سماع هذه الآية الكريمة : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [١٥].

ويقول -صلى الله عليه وسلم- : " إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان " . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[١٦].

وعبارة الآية الكريمة تحدد سمات من يعمر مساجد الله بالمقدمات الآتية:

١-الإيمان بالله وباليوم الآخر.

٢- إقامة الصلاة .

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صدق النية والإخلاص وعدم خشية أحد إلا الله .

والمقدمات السابقة تؤدى إلى النتيجة الآتية :

الرجاء فى أن يكون بناة المساجد من المهتدين.

ووصف عُمّار المساجد (بالرجولة) ذكرته الآية الكريمة الآتية :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [١٧].

---

[١٥] سورة التوبة: الآية ١٨.

[١٦] رواه الترمذى والحاكم - قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطى إعداد الدكتور محمد حسن الحمصى ص١٨٩.

[١٧] سورة النور : الآيتان ٣٦،٣٧.

وقد يتصور بعض الناس – خطأ وقصورا فى الفهم – أن هذه الكلمة تعنى فقط الذكور من بنى آدم . ولكنها تضم إليهم مجموعة من النساء أيضا.

فالكلمة توحى بمجموعة من القيم الفاضلة مثل الجرأة فى الحق والانتصار لدين الله والبذل والتضحية فى سبيل الله كما تعنى الشهامة والمروءة وعلو الهمة. وممن يتصف بالقيم الفاضلة للرجولة السيدة نسيبة بنت كعب التى حملت السلام يوم أُحد ووقفت تدافع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومنهم (أم كعب الأسلمية) التى أقامت مستشفى لتمريض الجرحى فى مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهى أول (ممرضة) فى الإسلام. وكان ذلك فى غزو الأحزاب.

رواد السياسة والجهاد والحكم فى إعمار مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

إن الذين عمروا مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هم رواد السياسة والجهاد والحكم من أصحابه الأبرار مثل الصِّدِّيق أبى بكر الذى صان الدولة من التصدع وحماها من فِتن كقِطَع الليل المظلم .

والفاروق عمر الذى وضع أسس الدولة الحديثة فى ظل المنظور الإسلامى. وهؤلاء العمار هم فاتحو الشام والعراق وبلاد ما وراء النهر والشمال الإفريقى من مصر إلى المحيط الأطلسى.

والمساجد يعمرها الرجال الذين يأبون العيش فى ضيم ويعملون على استرداد موقف الصدارة والريادة ، ولا تعمر بيوت الله بالقاعدين ولا الكسالى ، ولا الخاملين الذين يلبسون إيمانهم ثيابا من الذل والهوان ولا هؤلاء الذين يتسولون بسيف الحياء رغم قدرتهم على العمل والتكسب لحفظ ماء الوجه .

ولعل هذا هو السبب الحقيقى وراء عدم فتح المساجد إلا وقـــت الصـــلاة.. بوقت قبله وقليل بعده يُمكّن المتأخر عن حضور الجماعة الأولى لطارىءأو ســـبب مشروع لا حرمة فيه من أداء الصلاة، لأن المستهدف أن الله خلق لنا الدنيا لنعمـــل فيها ونعبد الله من خلال وعينا لأمور دينه.. وعدم اتخاذ المســـاجد تكـــأة للتـــهاون والتكاسل عن كسب العيش .. فليست هذه مهمتها .

التيمن بجوار الحرم :

أتت عصور على الأمة الإسلامية أَلِف الناس فيها وبخاصة العلماء الجـــوار فى الحرم بالمقام هناك ، ومنهم من صنف وألف فى هذا الجوار الطاهر ، ومن هنـــا لقب (الزمخشرى) المفسر بجار الله.

كما رأينا ابن هشام الأنصارى المصرى يمكث فى جوار الحرم أربع سنوات ألف فيها مصنفه القيم فى النحو المسمى مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، وأكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم حتى سئل : لـــم لـــمْ تضـــع تفســـير للقـــرآن الكريـــم ؟ فقال:أغنانى المغنى .

التمسجد والمرابط أيهما أفضل ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وقد سئل عن سكنى مكة وبيت المقدس والمدينة المنورة على نية العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والســـكنى بدميـــاط والاســـكندرية وطرابلس على نية الرباط ، أيهما أفضل ؟ فأجاب [١٨] : بـــل المقـــام فـــى ثغـــور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة فى المســـاجد الثلاثـــة ،

---

[١٨] الفتاوى الكبرى لابن نيمية ، الجزء ٢٨.

وما أعلم أن فى هذا نزاعا بين أهل العلم لأن الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج.

وقد قال تعالى :﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩).

تراجم الرواة

عثمان بن عفان

ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى أمير المؤمنين ، أبو عبد الله وأبو عمر ، ثالث الخلفاء الراشدين وأمه : أروى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس . أسلمت وأمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح . أسلم مبكرا على يد أبى بكر الصديق . وسمى بـ**ذى النورين** لزواجه بابنتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث تزوج رقية ثم ماتت فتزوج بعدها أختها أم كلثوم .

أخرج له أصحاب الكتب الستة . وقال الزبير بن بكار، بويع يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٢٣هـ.

---

(١٩) سورة التوبة : الآية ١٩.

وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة بعد العصر، ودفن ليلـــة السبت بين المغرب والعشاء فى المدينة فى حش كوكب قرب البقيع . ثم أصبح منـــه بعد توسعته ، وكان عمره ٨٢ سنة على الصحيح المشهور.

تم الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه

***


ثبت المراجع

المراجــع

- القرآن الكريم .
- لسان العرب المحيط لابن منظور .
- عالمية الإسلام – محمد زيدان .
- مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى.
- جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى .
- هداية البارى إلى ترتيب صحيح البخارى . السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوى .
- فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى.
- صحيح البخارى للإمام محمد بن إسماعيل البخارى.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى .
- سنن الترمذى للإمام أبى عيسى الترمذى.
- سنن أبى داود للإمام أبى داود السجستانى.
- سنن النسائى للإمام عبد الرحمن النسائى .
- سنن ابن ماجه للإمام عبد الله بن ماجه القزوينى .
- الموطأ للإمام مالك بن أنس .
- المسند للإمام أحمد بن حنبل.
- سنن البيهقى .
- موسوعة فقه عمر بن الخطاب.
- محمد رواس قلعه جى.
- مصنف عبد الرازق .
- مصنف بن أبى شيبة
- عمدة القارئ.
- من قيم الحياة فى القرآن الكريم – محمد شديد .

- المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى.
- جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى.
- الأدب النبوى للمرحوم محمد عبد العزيز الخولى.
- إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى.
- شخصية المسلم كما يصورها القرآن – مصطفى عبد الواحد .
- البحر الرائق – أحمد فريد.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- الرحيق المختوم لصفى الدين المباركفورى.
- جريدة اللواء الإسلامى العدد ١٠٠٣.
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .
- الأدب المفرد للإمام البخارى .
- عون المعبود .
- مقومات الحياة فى الإسلام – السيد شعبان.
- أدب الدنيا والدين لأبى الحسن البصرى .
- الكامل لابن عدى .
- أبو نعيم فى الحلية .
- مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى – مصطفى عمارة.
- المجلى لابن حزم.
- المغنى لابن قدامة.
- رياض الصالحين لأبى زكريا النووى.
- عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى شرح التجريد الصريح لأبى الطيب صديق القنوجى.
- التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف.
- الكبائر للذهبى.

- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى.
- المعجم الوجيز .
- تفسير ابن كثير.
- إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى.
- مجمع الزوائد .
- عمدة القارئ للبدر العينى .
- المختار من كنوز السنة د. محمد شوقى السيد.
- قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطى إعداد الدكتور محمد حسن الحمصى.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

مراجع تراجم الرواة

- سير أعلام النبلاء للذهبى .
- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى.
- أُسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى.
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
- حلية الأولياء للراغب الأصفهانى .
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.
- ميزان الاعتدال للذهبى.
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى.
- الأعلام للزركلى.


الآيات القرآنية المستشهد بها

الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها

إحاطة :

كل موضوع له الآيات القرآنية الخاصة به .. مع تجميع الآيـــات القرآنيـــة الخاصة بالسورة القرآنية دون إدراجها بموضوعها .

الموضوع	اسم السورة	الآيـــــــــــــات
آية الافتتاح	الحشر	٧
	آل عمران	١٠٢،٢٨،٩٢،٢٠٠،١٢٥،١٨٦
	النساء	١،٣٦
الرحمة	الأعراف	٥٢،٥٦
	التوبة	٦١ ،١٢٩ ،٣،٤٧
	البلد	١٧
	الإسراء	٢٨،١١٠،٢٣،٢٤
	هود	٩،٧،١١
	الأنبياء	١٠٧
	يونس	٢١
	البقرة	١٠٥ ، ٤٣ ، ١٧٧، ١٧٥ ،١٥٣، ٤٥، ١٥٧، ١٥٥ ، ١٥٦،٢١٤،٢٧٩، ١٠٢،٢٧٩
	الأحزاب	٤٣ ،١٦،١٩،١٢،١٣
	الإنسان	٨ ،٩
	الصافات	١٧١ ،١٧٢ ، ١٧٣
	البروج	٢١ ،٢٢

تابع الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها

الموضوع	اسم السورة	الآيـــــــات
	الروم	٥٠
	الجمعة	١٠
صلة الرحم	الكهف	٨١، ٢٨
	المؤمنون	٩٦ ، ٦٠
	محمد	٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
	الحجرات	١٣
	النور	٢٢ ،٢٧ ، ٢٨ ، ٦٢ ، ٥٨
	الفتح	١٨
بر الوالدين	الطور	٢٨
	مريم	٣٢
	لقمان	١٤
	الأحقاف	١٥
	الممتحنة	٨
	الطلاق	٢
الصبر	العصر	٣
	يوسف	١٨
	السجدة	٢٤
	النحل	٩٦
	الزمر	١٠

تابع الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها

الموضوع	اسم السورة	الآيـــــــات
	الأنفال	٤٦
	الشورى	٤٣
	الليل	٥ ، ٦ ، ٧
	البينة	٥
	الرعد	١٧
	العنكبوت	٢
الإستئذان	إبراهيم	٧
	الإنشقاق	٢
الكلمة	البقرة	٢٢٩
	إبراهيم	٢٤، ٢٥
	الحج	٣٠ ، ٣١
	الزمر	٢٣
	الجن	١ ، ٢
	النجم	٣٢
	الحاقة	١٨
الجنائز	النساء	٧٨
	البقرة	٢٨
	الملك	١ ، ٢

تابع الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها

الموضوع	اسم السورة	الآيـــــــــــــــات
الغيبة والنميمة	الحجرات	٦ ، ١٢
	القلم	١٠، ١١ ، ١٢
	النور	١١، ١٢ ، ١٣ حتى الآية ٢٠ ، ٢٢
	النساء	٣٤
إعالة اليتيم	الأنعام	١٥٢
	النساء	٤٨
	المطففين	٢٦
	الضحى	٦
المساجد	التوبة	١٨ ، ١٩
	النور	٣٦ ، ٣٧



الفهرس

الفهـــرس

تابع الفهـــرس

تابع الفهـــرس

تابع الفهـــــرس

الموضـــــــــــوع	الصفحـــة
[الاستئذان]	
* اللغويات.............	٩٧
* أهمية الاستئذان............	٩٩
* آداب الزيارة..............	٩٩
* لم آمرنا بالاستئذان ؟	١٠٠
* حرمة التلصص على بيوت الآخرين	١٠٢
* مشروعية الاستئذان	١٠٣
* أضواء حول الحديث	١٠٤
* حكمة الاستئذان ثلاثا	١٠٤
* تطبيق عملى لفضيلة الاستئذان	١٠٥
* هل إذا دعى الرجل يكون ذلك إذنه	١٠٨
* أضواء حول الحديث	١٠٨
* من أساليب الاستئذان التى شرعها الإسلام	١١١
* المتلصص على حجر المصطفى تفقأ عينه	١١٢
* أضواء حول الحديث	١١٢
[تراجم الرواة]	
* عبد الله بن أبى بسر	١١٤
* عمر بن الخطاب	١١٥
* أنس بن مالك بن النضر	١١٧
* عبد الله بن عباس	١١٨
* عطاء بن يسار	١١٩

تابع الفهـــرس

الموضـــــــــــوع	الصفحـــة

تابع الفهـــرس

تابع الفهـــرس

تابع الفهـــرس

تابع الفهــــرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٨٧٥٩ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 5982 - 29 - 9

الناشـــــر

القادسية للنشـــر والتوزيـــع
بالزقـــازيق